جهود السمعانيين في

ميادين الحياة العلمية في المشرق الإسلامي

(٤٠٠-٦١٨هـ/ ١٠٠٩- ١٢٢١م)

إعداد

الدكتور / محمد بن سليمان بن صالح الراجحي

قسم التاريخ - كلية العلوم العربية والاجتماعية بالقصيم

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

مقـدمة :

الحمد لله ربّ العالمين ، والصلاة والسلام على سيّد الأولين والآخرين ، نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن سار على دربه ، واهتدى بهديه إلى يوم الدين . .

شهد التاريخ الإسلامي في مختلف عصوره ظاهرةً بالغة الأهمّية ، ألا وهي ظاهرة « الأُسُرات العلميّة » ، ففي أنحاء عديدة من الدولة الإسلامية تميّزت فئة من الأُسَر في العهود الماضية بنبوغ ثُلّة من أبنائها في ميادين العلوم والمعارف ، وَرِثَ خَلَفُهُم عن سَلَفِهم حُبّ العلم والسعي في طلبه ، فصار سِمةً عظيمةً من سِماتهم ، وعلامةً بارزةً في تاريخ حياتهم .

ومن هذه الأسرات ـ على سبيل المثال ـ : " بنو مندة " في مدينة أصْبهان ، و" بنو عساكر " في بلاد الشام ، و " بنو إسماعيل " في إقليم جُرْجَان ، و" بنو البَحِيري " في مدينة نيسابور ، و " بنو الأثير " في مدينة الموصل ، و " بنو فهد " في مكّة المكرّمة . .

ومن أشهر الأسَر التي نبغ أبناؤها في ميادين العلوم ، أسرة «السمعانيّين» في بلاد المشرق الإسلامي ، وهي أُسرةٌ عربيّةٌ عريقةٌ ، ذاع صيتها في الفترة الواقعة بين مطلع القرن الخامس وأوائل القرن السابع الهجريين (٤٠٠ ـ ٦١٨هـ) ، حيث شهدتْ هذه الفترة التاريخية بروز عدد من أبناء هذه الأسرة الكبيرة ، اشتهروا في ميادين العلم والفكر والأدب ، وصارت لهم منزلة رفيعة في إقليم خُراسان بخاصّة ، وفي منطقة المشرق الإسلامي بعامّة ، واتسعت شهرتهم ، وانتشر

صيتهم في الآفاق .

وكان أعظمهم شأنًا ، وأوسعهم علمًا ، الإمام العلاّمة « أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور السمعاني » ، صاحب كتاب «الأنساب » ، المولود سنة٥٠٦ هـ/ ١١١٣م ، والمتوفّى سنة ٥٦٢ هـ/ ١١٦٧م ، فقد كان واسطة عقدهم ، « وعينهم الباصرة ، ويدهم الناصرة ، إليه انتهت رئاستهم ، وبه كملتْ سيادتهم »(١) .

وكان جدّه الإمام " أبو المظفّر منصور بن محمد بن عبد الجبّار السمعاني " ووالده " أبو بكر محمد بن منصور السمعاني " وابنه " عبد الرحيم بن عبد الكريم السمعاني" من العلماء البارزين والحُفّاظ المميّزين أيضًا ، وإلى جانب هؤلاء الأعلام كان هناك العديد من أبناء الأسرة السمعانية ممّن عُرفوا بالعلم والفضل ، وكان لهم أثرهم في مختلف ميادين الحياة العلمية في المشرق الإسلامي .

وقد أثنى العلماء على البيت السمعاني ثناءً كبيرًا ، وأطنبوا في المديح لأبنائه ، ولاغَرْو فقد أخرج ذلك البيت بضعة عشر علَمًا من أولي العلم والأدب ، كان كلٌّ منهم أهلاً للثناء ، ومحلاً للإطراء . . يقول المؤرّخ " ابن الأثير " في أثناء حديثه عن الإمام الحافظ " أبي سعد السمعاني " : « . . وهو من بيت علم اجتمع لهم رئاسة الدنيا والدين ، ونالوا منهما الحظّ الوافر الذي لم ينله غيرهم »(٢) .

---

(١) ابن الأثير : اللباب في تهذيب الأنساب ، دار صادر ، بيروت ، جـ١ ، ص١٤ .

(٢) المصدر نفسه ، جـ١ ، ص١٣ .

وهذا البحث يُسلّط الضوء على جانبٍ مهمٍّ في حياة تلك الأسرة العربية المتميّزة ، ألا وهو « جهودهم في ميادين الحياة العلمية في المشرق الإسلامي » ، في الفترة التي ذاع صيتهم فيها ، وانتشر ذكْرهم في مختلف البلدان . .

لقد أسهم السمعانيّون إلى حدٍّ كبير في ميادين الحياة العلمية في منطقة المشرق لفترة تربو على قرنين من الزمن ، وكان لهم أثرٌ بيّنٌ في نموّها وتطوّرها ، ولم يأت ذلك من فراغ ، وإنّما كان مردّه إلى ما تمتّع به كثيرٌ منهم من علم ونباهة وإدراك ، وإلى ما اشتهروا به من دأبٍ في طلب العلم وصبْر على مواجهة الصعاب في سبيل تحصيله وبلوغ أسمى مراتبه ، فكانوا يجوبون البلدان ، ويرحلون إلى المدن والقرى ، يلتقون بالعلماء ، فيتتلمذون عليهم ، ويُفيدون من علمهم وأدبهم . .

كانت للسمعانيّين جهودٌ مُميَّزة في ميدان الرحلة في طلب العلم ولقاء العلماء والسماع منهم والرواية عنهم ، وفي العناية بالعلوم المختلفة ، كالعلوم الشرعية واللغة العربية والأدب والشعر والتاريخ والتراجم والأنساب والجغرافيا ، حيث نبغوا في هذه العلوم ، وأسهموا في نشرها ، وأفادوا كثيرًا من طلاّب العلم في أيّامهم في مختلف أصقاع المشرق الإسلامي ، بل وفي غيره من الأقاليم والبلدان الإسلامية .

كما كانت لهم جهودٌ ملموسة في ميدان التعليم في المساجد والمدارس ، في مدينة " مرْو " وفي غيرها من مدن المشرق ، وفي رواية العلم ونشره بين الناس ، وكانت لهم أيضًا جهودٌ في إنشاء بعض

خزائن الكتب ، التي أضحت في أيّامهم حافلة بكنوز عظيمة من المصنّفات في سائر العلوم ، وأفاد منها الكثير من العلماء . . هذا فضلاً عن جهودهم القيّمة في ميدان التصنيف والإنتاج العلمي ، والتي أسهمتْ في إثراء المكتبة الإسلامية بالعديد من الكتب ، في مختلف فنون العلم . .

لقد حاولتُ في هذه الدراسة إبراز هذه الجهود ، وقسمت الحديث عنها إلى عدّة عناصر ، ومهّدتُ لها بنبذة عن مشاهير السمعانيين ، مرتّبًا ذلك ترتيبًا زمنيًا ، مبتدءًا بالحديث عن أوّل مَن اشتهر منهم ، وهو " أبو منصور محمد بن عبد الجبّار السمعاني " الذي عاش في النصف الأوّل من القرن الخامس الهجري ، ثمّ أبناؤه وأحفاده ، حتّى الفترة التي اضمحلّ فيها شأنهم وتلاشى ذِكْرهم ، وهي أوائل القرن السابع الهجري . .

ثمّ تحدّثتُ عن جهودهم في ميادين الحياة العلمية في المشرق الإسلامي ، وذلك على النحو التالي :

- جهود السمعانيّين في ميدان الرحلة في طلب العلم ولقاء العلماء .
- جهودهم في العناية بالعلوم الشرعية .
- جهودهم في العناية باللغة والأدب .
- جهودهم في العناية بالتاريخ والتراجم والأنساب والجغرافيا .
- جهودهم في ميدان التعليم .

- جهودهم في إنشاء خزائن الكتب .
- جهودهم في ميدان التصنيف .

وفي الخاتمة استعرضتُ أهمّ النتائج التي خرجتُ بها من خلال دراستي لهذا الموضوع . كما ذيّلتُ هذا البحث بثلاثة ملاحق ، ذكرتُ في أوّلها نسب السمعانيّين ، وأوردتُ في ثانيها قائمة بأسماء أعلامهم ، ووضعتُ في الثالث شجرة السمعانيين في المشرق . .

السمعانيّون :

ينتمي « السمعانيّون » إلى أصول عربية عريقة ، حيث ينحدرون من بطنٍ من بطون تميم يُدعى « سَمْعان »[1] . وكان أجداد هذه الأسرة العربية قد سكنوا مدينة " مَرْو " [2] - حاضرة إقليم خُراسان - منذ زمن بعيد [3] ، وعاش فيها أبناؤهم وأحفادهم من بعدهم .

---

(١) السمعاني : الأنساب ، تحقيق : عبد الله عمر البارودي ، الطبعة الأولى ، دار الجنان ، بيروت ، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م ، جـ٣ ، ص٢٩٨ ، ابن الأثير : اللباب ، جـ١ ، ص١٣ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق : د. إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م ، جـ٣ ص٢١١ ، أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر ، دار المعرفة ، بيروت ، جـ٣ ، ص٤٤ ، ابن الوردي : تاريخه ، الطبعة الثانية ، ١٣٨٩هـ-١٩٦٩ /م ، جـ٢ ، ص١٠٤ ، ابن أيبك الصفدي : الوافي بالوفيات ، الطبعة الثانية ، دار فرانز شتاينر ، فيسبادان ، ١٣٨٩هـ/ ١٩٧٠م ، جـ٣ ، ص٢١٤ ، اليافعي : مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يُعتبر من حوادث الزمان ، الطبعة الثانية ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة ، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م ، جـ٣ ، ص١٥٢ ، ابن هداية الله : طبقات الشافعية ، تحقيق : عادل نويهض ، الطبعة الثالثة ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م ، ص١٨٠ ، ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، جـ٣ ، ص٣٩٣ .

(٢) (مَرْو) : حاضرة إقليم خراسان وأشهر مدنه ، وهي مدينةٌ قديمةٌ قيل إنّها من بناء " ذي القرنين " ، اتّخذها السلطان السلجوقي " سَنْجَر بن ملكشاه " حاضرةً لدولته في النصف الأوّل من القرن السادس الهجري ، وأخرجت كثيراً من العلماء والأعيان .

انظر : (ياقوت الحموي : معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م جـ٥ ، ص١١٢-١١٤) .

(٣) كراتشكوفسكي : تاريخ الأدب الجغرافي العربي ، ترجمه من الروسية إلى العربية : صلاح الدين عثمان هاشم ، الطبعة الثانية ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ١٤٠٨هـ١٩٨٧ /م ، ص٣٤٣ .

وقد ظلّت خراسان موطنًا للسمعانيّين على مدى الفترة التي شهدتْ علوّ شأنهم واتّساع شهرتهم ، وكانت في مستهلّ القرن الخامس الهجري - وهي الفترة التي شهدتْ بداية ظهور السمعانيّين على الساحة العلمية في المشرق الإسلامي - خاضعةً لنفوذ الدولة الغزنويّة ، ثمّ دخلتْ قُبيل نهاية الثلث الأوّل من ذلك القرن تحت سيطرة السلاجقة ، الذين سيطروا على معظم أقاليم المشرق الإسلامي ، وظلّت كذلك حتّى النصف الثاني من القرن السادس الهجري ، حيث انضوت تحت لواء الدولة الخوارزمية . . وهكذا عاش السمعانيّون معظم الفترة التي اتّسعت خلالها شهرتهم وذاع فيها صيتهم ، في ظلِّ الدولة السلجوقية ، ثمّ الدولة الخوارزمية [1] .

---

(١) للتّعرّف على تواريخ هذه الدول ، وانتشار نفوذها في خراسان ومناطق المشرق الإسلامي الأخرى ، انظر : (الكرديزي : زين الأخبار ، ترجمته من الفارسيّة إلى العربية : عفاف السيّد زيدان ، الطبعة الأولى ، دار الطباعة المحمّدية ، القاهرة ، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م ، جـ٢ ، ص٢٨١ ـ٣٣٦ ، ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، دار صادر ، بيروت ،١٤٠٢هـ/١٩٨٢م ، جـ٨ ، ص٦٨٣ ـ ٦٨٧ ، ج٩ ، ص١٠٢ـ١٠٣ ، ١٣٠ ـ١٣١ ، ١٣٩ ، ١٤٦ ـ ١٤٧ ، ٣٩٨ ـ ٤٠٠ ، ٤٧٣ ـ ٤٨٤ ، جـ١٠ ، ص٢٦٧ ـ٢٦٨ ، جـ١٢ ، ص١٥٦ ـ ١٥٨ ، ١٧٣ ـ ١٧٧ ، ٢٢٦ ـ ٢٣٠ ، البنداري : تاريخ دولة آل سلجوق ، الطبعة الثالثة ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م ، ص٧ وما بعدها).

ومن المراجع الحديثة عن هذه الدول ، انظر أيضًا : (عباس إقبال : تاريخ إيران بعد الإسلام من بداية الدولة الطاهرية حتّى نهاية الدولة القاجارية ، ترجمه من الفارسية إلى العربية: محمد علاء الدين منصور ، دار الثقافة ، القاهرة ، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م ، ص١٦٩ ـ١٩٩ ، ٢٢٧ وما بعدها ، ٣١٩ ـ ٣٤٢ ، عبد النعيم محمد حسنين : سلاجقة إيران والعراق ، الطبعة الثانية ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٠م ، ص٩ ـ١١ ، ١٦ ـ ٤٥ ، سعد بن محمد الغامدي أوضاع الدول الإسلامية في الشرق الإسلامي ، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م ، ص١٠٧ ـ ١١٠ ، ١٦١ ـ ١٦٩ ، ١٧٥ ـ ١٨٢ ، أحمد كمال الدين حلمي : السلاجقة في التاريخ والحضارة ، الطبعة الثانية ، ذات السلاسل ، الكويت ، ١٤٠٦هـ١٩٨٦ /م ، ص٢١ وما بعدها).

ويُعدّ الإمام " محمد بن عبد الجبار السمعاني " ـ الذي عاش في النصف الأوّل من القرن الخامس الهجري ـ أوّل مَن اشتهر من السمعانيّين في بلاد المشرق الإسلامي ، وهو" أبو منصور محمد بن عبد الجبار بن أحمد بن محمد بن جعفر بن أحمد بن عبد الجبار بن الفضل بن الربيع بن مسلم بن عبد الله السمعاني التميمي" (١) . كان إمامًا فاضلاً عالمًا قاضيًا مشهورًا بالورع والتقوى(٢)، كما كان ذا منزلة سامية ومكانة عالية بين علماء بلدته ، فقد ذكر بعض المؤرّخين أنّه يُعدّ « من وجوه مشائخ مرْو وأفاضلهم » (٣) .

وكان يحظى بتقدير كبير واحترام بالغ من العلماء المعاصرين له ، ومن الشواهد الجليّة على ذلك ما ذكره الأديب" أبو الحسن الباخرزي" ـ المتوفّى سنة ٤٦٧ هـ/ ١٠٧٥ م ـ من أنّه حضر ذات يوم مجلسًا من مجالس وعْظه ، فطلب إليه الإمام" أبو منصور السمعاني " بعد انتهاء المجلس أن يُنبّهه إلى ما قد يكون جرى على لسانه من سهو أو نحوه في أثناء حديثه ، فردّ عليه " الباخرزي " بما يدلّ على مكانته العلمية السامية عنده وعند غيره من علماء عصره ، حيث قال : « معاذ الله أن

---

(١) السمعاني : الأنساب جـ٣ ، ص٢٩٨ ، القرشي : الجواهر المضيّة في طبقات الحنفية ، تحقيق: د. عبد الفتّاح محمد الحلو ، الطبعة الثانية ، هَجَر للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٤١٣ هـ/ ١٩٩٣م ، جـ٣ ، ص٢٠٦ .

(٢) السمعاني : المصدر السابق ، جـ٣ ، ص٢٩٨ ، القرشي : المصدر السابق ، جـ٣ ، ص٢٠٦ .

(٣) الصريفيني : المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور ، تحقيق: محمد أحمد عبد العزيز ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٠٩ هـ/ ١٩٨٩م ، ص٤٤٢ .

أكون منك بهذه المنزلة »[1] .

وبالرّغم من هذه المنزلة الرفيعة التي كان يتبوّؤها الإمامُ أبو منصور السمعاني " ، إلاّ أنّ المصادر التاريخية لا تُقدّم معلومات وافية عن سيرته ، ولم تُسهب كتب التراجم في الحديث عنه . وقد توفّي ـ رحمه الله ـ في مدينة " مرو " في إقليم خراسان ، في شهر شوّال سنة ٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م[2] .

كان للإمام " أبي منصور السمعاني " عددٌ من الأبناء برز منهم اثنان " أبو المظفّر منصور" و " أبو القاسم علي" . . أمّا " أبو المظفّر " فهو إمامٌ حافظٌ وعلَمٌ كبيرٌ من أعلام السمعانيين في المشرق الإسلامي . وُلد في ذي الحجة سنة٤٢٦ هـ[3] . وكان ألمع آل بيته ، وأعظمهم قدرًا ، وأوسعهم علمًا ، باستثناء حفيده الحافظ" أبي سعد السمعاني " .

---

(١) الباخرزي : دمية القصر وعُصرة أهل العصر ، تحقيق : د. سامي مكّي العاني ، الطبعة الثانية ، دار العروبة ، الكويت ،١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥م ، جـ٢ ، ص١٦٤ـ ١٦٥ .

(٢) الذهبي : تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، تحقيق: الدكتور : عمر عبد السلام تدمري ، الطبعة الأولى ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، حوادث ووفيات (٤٤١ ـ ٤٥٠ هـ) ، ص٢٥٨ ، العبر في خبر من غبر ، تحقيق: محمد السعيد بن بسيوني زغلول ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت، ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥م ، جـ٢ ، ص٢٩٧ ، ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، جـ٣ ، ص٢٨٧ .

(٣) ابن الأثير : اللباب في تهذيب الأنساب ، جـ٢ ، ص١٣٩ ، الداوودي : طبقات المفسرين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، جـ٢ ، ص٣٤٠ ، طاش كبري زاده : مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥م ، جـ٢ ، ص٣٠٠ .

اشتهر الإمام العلاّمة " أبو المظفر السمعاني " ، بأنّه « إمام عصره بلا مُدافعة ، وعديم النظير في فنّه »[1] ، ووصفه الحافظ " الذهبي" بـ « الإمام العلاّمة ، مفتي خُراسان »[2] . كما امتدحه بعض العلماء فقالوا بأنه « وحيد عصره في وقته فضلاً وطريقةً ، وزهداً وورعًا ، من بيت العلم والزهد »[3] . وأثنى عليه " السبكي " فوصفه بـ « الإمام الجليل ، العلَم الزاهد الورع ، أحد أئمّة الدنيا »[4] . كما وصفه بـ «الرفيع القدْر ، العظيم المحلّ ، المشهور الذكْر ، أحد مَن طبّق الأرض ذكْره ، وعبِق الكون نشْره »[5] .

وكان " العلاّمة " أبو المظفّر السمعاني " إمامًا « من أئمّة المسلمين ، وأعلام الدين »[6] ، « وحجّةً لأهل السنة »[7] ، وكان ـ رحمه الله ـ ذا حافظة قوية ، وذاكرة متميّزة ، يدلّ على ذلك أنه كان

---

(١) السمعاني : الأنساب ، جـ٣ ، ص٢٩٩ .

(٢) سير أعلام النبلاء ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ، وآخرين ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، جـ١٩ ، ص١١٤ .

(٣) الصريفيني : المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور ، ص٤٤٢ ، الذهبي : تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، حوادث ووفيات (٤٨١ ـ ٤٩٠ هـ) ص٣٢٣، سير أعلام النبلاء ، جـ١٩ ، ص١١٥ .

(٤) طبقات الشافعية الكبرى ، تحقيق : عبد الفتاح محمد الحلو ، ومحمود محمد الطناحي ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، جـ٥ ، ص٣٣٥ .

(٥) المصدر نفسه ، جـ٥ ، ص٣٣٥.

(٦) المصدر نفسه ، جـ٥ ، ص٣٤٤.

(٧) الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ١٩ ، ص١١٦ .

يقول : « ما حفظتُ شيئًا فنسيته » [1] ! .

كان " أبو المظفر " في أوّل أمره حنفي المذهب ، بل كان من أئمّة الحنفية ، ولكنه بعد أن حجّ في سنة٤٦٢ هـ ، ترك مذهب الأحناف ، وانتقل إلى مذهب الإمام الشافعي . ولمّا عاد إلى مدينة" مرو " لقي بسبب تحوّله عن مذهبه محنًا شديدة ، فصبر على ذلك ، ولم يلبث أن صار إمامًا للشافعية في بلاد خُراسان[2] . وبتحوّل " أبي المظفر السمعاني " إلى المذهب الشافعي ، أضحى السمعانيّون في المشرق

---

(١) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، تحقيق: محمد عبد القادر عطا ، ومصطفى عبد القادر عطا ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٢هـ١٩٩٢ /م ، جـ١٧ ، ص٣٨ ، الذهبي : تاريخ الإسلام ، حوادث ووفيات (٤٨١ـ٤٩٠هـ) ، ص٣٢٦ ، السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، جـ٥ ، ص٣٤٤ ، ابن كثير : البداية والنهاية ، تحقيق: د . أحمد أبو ملحم ، وآخرين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م ، جـ١٢ ، ص١٦٤ ، ابن قاضي شهبة : طبقات الشافعية ، تحقيق: د . عبد العليم خان ، دار الندوة الجديدة ، بيروت ، ١٤٠٧هـ١٩٨٧ /م ، جـ١ ، ص٢٨٢ .

(٢) عن تحوّل الإمام " أبي المظفر السمعاني " من المذهب الحنفي إلى المذهب الشافعي انظر : (ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، جـ١٧ ، ص٣٧ ، الرافعي : التدوين في أخبار قزوين ، تحقيق: عزيز الله العطاردي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،١٤٠٨هـ١٩٨٧ /م ، جـ٤ ، ص١١٨ـ١١٩ ، ابن الأثير : اللباب ، جـ١ ، ص١٣ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ٣ ، ص٢١١ ، الأسنوي : طبقات الشافعية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م جـ١ ، ص٣٢١ ، اليافعي : مرآة الجنان وعبرة اليقظان ، جـ٣ ، ص١٥١ ، السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، جـ٥ ، ص٣٣٧ـ٣٤١ ، القرشي : الجواهر المضيّة في طبقات الحنفية ، جـ٣ ، ص٢٠٦ ، ابن قاضي شهبة : طبقات الشافعيّة ، جـ١ ، ص٢٨١ ، ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، تحقيق : محمد حسين شمس الدين ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٣هـ١٩٩٢ /م ، جـ ٥ ، ص١٥٨ ، الداوودي : طبقات المفسّرين ، جـ٢ ، ص٣٣٩ ، ابن هداية الله : طبقات الشافعية ، ص١٨٠ ، ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، جـ٣ ، ص٣٩٣) .

شـافـعـيّـةً بعـد أن كـانوا حنفـيّـةً ، وصـار كلّ مَن جـاء بعـد" أبي المظفـر " من أولاده وأحفاده على مذهب الإمام الشافعي [(١)] .

توفّـي الإمـام " أبو المظفـر السـمـعـاني " ، في مـدينـة " مـرو " ـ حاضـرة إقليم خـراسـان ـ في يوم الجـمـعـة الثـالث والعـشـرين من شـهـر ربيع الأول ، سنة ٤٨٩ هـ/ ١٠٩٦م [(٢)] ، رحمه الله تعالى .

أمّا شقـيقه " أبو القاسم علي بن محمد بن عبد الجبّار السمعاني" فهـو وإنْ كـان أقلّ منه منزلةً إلاّ أنّه كـان يُعـدّ أيضًا من مـشـاهيـر السـمـعـانيّين الأوائل وأعـلامـهم ، فـقـد كـان ـ كـمـا وصـفـه بعض المؤرّخين ـ رجـلاً فاضلاً عالمًا ظريفًا [(٣)] ، ذا جاهٍ ومكانةٍ رفيعة [(٤)] .

كـان " أبو القـاسم السـمـعـاني " في أوّل أمـره مـقـيـمًا مع آل بيـتـه في إقليم خـراسـان ، حـيث أمـضى هناك شطرًا من حـيـاته ، ولكـنه ـ ولسـبب غـيـر مـعلوم ـ رحل إلى بلاد" كـرمـان " [(٥)] ، الواقـعـة إلى الجنوبَ الغربـي من إقليـم خراسـان [(٦)] ، وسـرعـان مـا لمع نجـمـه ، وذاع صـيـتـه

---

(١) السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، جـ٥ ، ص٣٤١.

(٢) السـمـعـاني : الأنسـاب ، جـ٣ ، ص٢٩٩ ، ابن خلكان : وفـيـات الأعـيـان ، جـ٣ ، ص٢١١ ، ابن كـثـيـر : البـداية والنهـاية ، جـ١٢ ، ص١٦٤ ، ابن تغـري بردي : النجوم الزاهرة ، جـ٥ ، ص١٥٨ ، طاش كـبـري زاده : مـفـتـاح السـعـادة ومـصـبـاح السيادة ، جـ٢ ، ص٣٠٠ .

(٣) السمعاني : الأنساب ، جـ٣ ، ص٢٩٨ .

(٤) السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، جـ٥ ، ص٣٣٦.

(٥) السمعاني : الأنساب ، جـ٣ ، ص٢٩٨ .

(٦) (كَـرْمَـان) : ـ بفـتح الكاف ويجـوز بكسـرها ـ وهي ولايةٌ مـشـهـورةٌ وناحـيـةٌ كـبـيـرةٌ مـعـمـورة ، تضم مـدنًا وقـرى كـثـيـرة ، وتقع بين أقـاليـم " فـارس " و " مكران " و " سـجـسـتـان " و " خـراسـان " . (ياقـوت : مـعـجم البلدان ، جـ ٤ ، ص٤٥٤) وانظر عن موقع "كرمان " أيضًا : (لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، =

فيها ، بدرجة فاقت ما كان عليه أثناء مُقامه في خراسان ، فقد صارت له حظوة عند ملكها [1] ، وصاهر أحد وزرائه [2] .

وفي تلك البلاد رُزق عدداً من الأبناء [3] ، اشتهر من بينهم " أبو العلاء علي بن علي بن محمد بن عبد الجبار السمعاني " [4] . . ويُفهم ممّا أورده الإمام " أبو سعد السمعاني " في « أنسابه » [5] ، أنّ " أبا القاسم السمعاني " ظلّ يقيم مع أبنائه في إقليم " كرمان " بقيّة حياته، ولكنّ صلاته بآل بيته في خراسان لم تنقطع ، فقد بعث ابنه " أبا العلاء " إلى مدينة " مرو " - حاضرة ذلك الإقليم - ليتفقّه على عمّه الإمام الحافظ " أبي المظفر منصور بن محمد السمعاني " [6] .

= ترجمة : بشير فرنسيس ، وكوركيس عوّاد ، الطبعة الثانية ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠٥هـ١٩٨٥ / م ، الخارطة « ١ » .) .

(١) لم تكشف المصادر التاريخية عن شخصيّة حاكم بلاد " كرمان " الذي حظيَ " أبو القاسم السمعاني " بمكانة عالية عنده ، وكانت " كرمان " في تلك الفترَة تحت حكْم فرع من فروع السلاجقة ، عُرفوا بـ (سلاجقة كرمان) ، وقد حكموها منذ سنة ٤٣٣هـ انظر) : زامباور : معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي ، ترجمة : د. زكي محمد حسن ، وآخرين ، القاهرة ، ١٩٥١م ، ص٣٣٥) .

(٢) السمعاني : الأنساب ، جـ٣ ، ص٢٩٨ .

(٣) المصدر نفسه ، جـ٣ ، ص٢٩٨ .

(٤) ذكره " السمعاني " باسْم (علي بن علي السمعاني) (الأنساب ، جـ٣ ، ص٢٩٨) ، بينما ذكره " السبكي " باسْم (عالي بن علي)(طبقات الشافعية الكبرى ، جـ٥ ، ص٣٣٦) . ولا شكّ أنّ قول " السمعاني " مقدّمٌ على غيره ، فهو أدرى ببني عمّه وأفراد أسرته .

(٥) الأنساب ، جـ٣ ، ص٢٩٨-٢٩٩ .

(٦) المصدر نفسه ، جـ٣ ، ص٢٩٨ .

أقام " أبو العلاء السمعاني " في إقليم خراسان فترة من الزمن لطلب العلم [1] ، ثمّ عاد إلى بلاد كرمان ، حيث ظلّ يعيش فيها مع والده ، وهناك وُلد له عددٌ من الأبناء [2] ، ووفقًا لما يذكره الحافظ "أبو سعد السمعاني " فقد كان يُعاصره عددٌ من أولاد " أبي العلاء " ، وكانوا - كما يقول - من العلماء الفضلاء [3] .

ولا نقف في المصادر التاريخية على معلومات أخرى تكشف النقاب عن أخبار أبناء " أبي العلاء السمعاني " وأوضاعهم في إقليم " كرمان " ، وماذا كان من أمرهم في العهود التالية ، ولعلّ ثناء الإمام " أبي سعد السمعاني " على مَن كان يُعاصره منهم يُعطي دلالةً واضحةً على أنّهم ظلّوا من حَمَلَة العلم ، شأنهم في ذلك شأن أبناء عمومتهم في " خُراسان " .

ومن أعلام السمعانيّين في المشرق الإسلامي " أبو بكر محمد بن منصور السمعاني " ، وهو الابن الأكبر للإمام " أبي المظفّر منصور السمعاني " ووالد الإمام الحافظ " أبي سعد السمعاني " . وُلد " أبو بكرٍ " هذا سنة ٤٦٦هـ/ ١٠٧٣م [4] ، وفي رواية سنة ٤٦٧هـ/

---

(١) المصدر نفسه ، جـ٣ ، ص٢٩٨ .

(٢) المصدر نفسه ، جـ٣ ، ص٢٩٨-٢٩٩ .

(٣) المصدر نفسه ، جـ٣ ، ص٢٩٩ .

(٤) المصدر نفسه ، جـ٣ ، ص٣٠٠ ، القفطي : إنباه الرواة على أنباه النحاة ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، الطبعة الأولى ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م ، جـ٣ ، ص٢١٧ ، الداوودي : طبقات المفسرين ، جـ ٢ ، ص٢٥٩ .

١٠٧٤م [١] ، ونشأ في بيت علم وأدب ، ولذا كان أمرًا طبعيًا أن يتأثر ببيئته التي ترعرع فيها ، وأن يصبح مُحبًا للعلم منذ حداثة سنّه ، حريصًا على تحصيله [٢] ، شغوفًا به ، حتى إذا ما اشتدّ عوده أضحى واحدًا من أبرز أبناء الأسرة السمعانية في المشرق .

كان " أبو بكر السمعاني " رجلاً « فاضلاً ، حسن السيرة ، بعيدًا من التكلّف ، صدوقًا » [٣] ، كما كان « إمامًا حافظًا » [٤] . وصفه بعض العلماء بـ « الإمام بن الإمام بن الإمام ووالد الإمام » [٥] نشأ في عبادة الله تعالى ، وفي تحصيل العلم منذ الصبا ، وجُمعتْ فيه الخلال الجميلة من الإنصاف والتواضع والتودّد [٦] .

---

(١) الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ١٩ ، ص٣٧٢ . وقد وَهَمَ " ابن الأثير " ـ رحمه الله ـ بقوله إنّ " أبا بكر السمعاني " وُلد سنة ٤٤٦ هـ (الكامل في التاريخ ، جـ١٠ ، ص٥٢٤) .

(٢) النووي : مختصر طبقات الفقهاء ، تحقيق : عادل عبد الموجود ، و علي معوض، الطبعة الأولى ، دار الفكر ، بيروت ١٤١٦هـ/١٩٩٥م ، ص٢٨٤ ، الإسنوي : طبقات الشافعية ، جـ١ ، ص٣٢٣ ، الداودي : طبقات المفسرين ، جـ٢ ، ص٢٥٩ ، ابن الصلاح : طبقات الفقهاء الشافعية ، تحقيق : محيي الدين علي نجيب ، الطبعة الأولى ، دار البشائر الإسلامية ، بيروت ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م ، جـ١ ، ص٢٧٤ ـ ٢٧٥ ، السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، جـ٧، ص٦ ، ابن قاضي شهبة : طبقات الشافعية ، جـ١ ، ص٣٠٣ ، ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ، جـ٤ ، ص٢٩ .

(٣) ابن الصلاح : طبقات الفقهاء الشافعية ، جـ١ ، ص٢٧٤ .

(٤) ابن الأثير : اللباب في تهذيب الأنساب ، جـ١ ، ص١٣ .

(٥) ابن قاضي شهبة : طبقات الشافعية ، جـ١ ، ص٣٠٣ .

(٦) ابن الصلاح : طبقات الفقهاء الشافعية ، جـ١ ، ص٢٧٤ ـ ٢٧٥ ، السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، جـ٧ ، ص٦ ، الإسنوي : طبقات الشافعية ، جـ١ ، ص٣٢٣ ، ابن قاضي شهبة : طبقات الشافعية ، جـ١ ، ص٣٠٣ ، ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ، جـ٤ ، ص٢٩ .

وقد مدحه الحافظ " أبو طاهر السِّلَفي " [1] بقوله :

هــو المُزَنــيّ إبّــان الفتــاوى   وفي علم الحديث الترمذيّ

وجاحظ عصره في النثر صدقًا   وفي وقت التشاعر بُحتريّ

وفي النحو الخليلُ بـلا خــلاف   وفي حفْظ اللغات الأصمعيّ [2]

لم يُعمّر " أبو بكر السمعاني " طويلاً ، بل اخترمته المنيّة وهو في عنفوان شبابه ، وذلك في يوم الجمعة الثالث من شهر صفر ، سنة ٥١٠ هـ/ ١١١٦م ، عن عمر يناهز الثالثة والأربعين عامًا [3] . وقد تألّم أصحابه ومريدوه لوفاته ، لاسيّما وأنه مات وهو لمّ يزل شابًا ، وظلّت ذكْراه عالقةً في أذهانهم ، وكان أحد أصحابه إذا ذكره تمثّل بقول " أَبي فراس الحمداني " ، وهو يُخاطب ابنته ويرثي حاله :

زَيْنُ الشبــاب أبو فِـرا   سِ لم يُمتّع بالشبــاب [4]

---

(١) هو أبو طاهر أحمد بن محمد بن أحمد السِّلفي الأصبهاني ، إمامٌ وحافظٌ مشهورٌ ، من كبار علماء الحديث ، تنقّل بين عدد من البلدان ، وتوفي سنة ٥٧٦ هـ ، انظر ترجمته في: (السمعاني : الأنسابّ ، جـ٣ ، ص٢٧٤ ، ابن خلّكان : وفيات الأعيان ، جـ١ ، ص١٠٥ ـ ١٠٧ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ٢١ ، ص٥ ـ ٣٩).

(٢) السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، جـ٧ ، ص٩ .

(٣) السمعاني : الأنساب ، جـ٣ ، ص٣٠٠ ، ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، جـ١٧ ، ص١٥٠ ، الذهبي : تذكرة الحفّاظ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، جـ ٤ ، ص١٢٦٨ ، ابن قاضي شهبة : طبقات الشافعية ، جـ ١ ، ص٣٠٣ ، السيوطي : طبقات الحُفّاظ ، الطبعة الثانية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م ، ص٤٦٠ . وقد وَهَم " الصفدي " بقوله إنّ " أبا بكر السمعاني " توفي سنة ٥٠٩هـ (الوافي بالوفيات ، جـ٥ ، ص٧٥) .

(٤) السّمعاني : الأنساب ، جـ٣ ، ص ٣٠٠ وانظر أيضًا : ديوان أبي فراس الحمداني ، تحقيق : د. إبراهيم السامرّائي ، الطبعة الأولى ، دار الفكر ، عمّان ، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م ، ص٣٢ .

ومن أشقّاء الإمام " أبي بكر السمعاني " " أبو محمد الحسن بن منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني " . . وُلد في سنة ٤٦٨هـ [١] وكان على جانب من الفضل والعلم والورع . وصفه الإمام الحافظ " أبو سعد السمعاني " بقوله : « كان إمامًا زاهدًا ورعًا ، كثير العبادة والتهجّد ، نظيفًا منورًا ، مليح الشيبة ، منقبضًا عن الخلْق » [٢] .

وعلى الرغم من ثناء الإمام " أبي سعد السمعاني " في كتابَيه «الأنساب» [٣] و « التحبير في المعجم الكبير » [٤] على عمّه " أبي محمد الحسن بن منصور السمعاني " ، فإنه يبدو رجلاً مغمورًا عند جمهرة المؤرخين ، فلا نظفر بمعلومات عنه في المصادر الأخرى ، وليس ثمّة ما يكشف عن الجوانب الأخرى من حياته ، وقد توفي - رحمه الله - في شهر جمادى الأولى سنة ٥٣١هـ [٥] .

كان لأبي محمد الحسن بن منصور السمعاني عدد من الأبناء ، اشتهر من بينهم " أبو منصور محمد بن الحسن السمعاني" . . وصفه ابن عمّه الإمام " أبو سعد السمعاني " بأنه كان « شابًا فاضلاً ظريفًا»[٦] وأشار إلى أنه كان محبًّا للعلم والأدب ، وأنّه سمع من عددٍ من العلماء ، وأفاد منهم [٧] .

---

(١) السمعاني : التحبير في المعجم الكبير ، تحقيق: منيرة ناجي سالم ، بغداد ، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م ، جـ١ ، ص٢١٨ .

(٢) السمعاني : الأنساب ، جـ٣ ، ص٣٠٠ .

(٣) المصدر نفسه ، جـ٣ ، ص٣٠٠.

(٤) التحبير في المعجم الكبير ، جـ١ ، ص٢١٦ .

(٥) السمعاني : الأنساب، جـ٣ ،ص٣٠١ ، التحبير في المعجم الكبير ، جـ١ ، ص٢١٨ .

(٦) الأنساب ، جـ٣ ، ص٣٠١.

(٧) السمعاني : التحبير ، جـ٢ ، ص١١٢ .

على أنّ الإمام " أبا سعد السمعاني " كانت له بعض المآخذ عليه، فقد أشار إلى أنه كان ذا ميل إلى اللهو والعبث، ولم يكن على شاكلة أسلافه من السمعانيّين ممّن عُرفوا بالدين والورع . وقد توفي وهو لمّا يزل شابًا، وذلك ليلة عرفة سنة٥٣٣هـ/ ١١٣٩م، ولم يكن قد بلغ الأربعين من عمره[١] .

وممّن اشتهر من السمعانيين، وذاع صيته، وعلا شأنه في بلاد المشرق الإسلامي " أبو القاسم أحمد بن منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني "، ويُعزى علوّ مقامه إلى ما عُرف عنه من علم وفضل، شأنه في ذلك شأن أسلافه من السمعانيّين . وُلد سنة ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م، و« كان إمامًا فاضلاً، عالمًا مناظرًا مفتيًا . . . . له فضائل جمّة، ومناقب كثيرة، وكان حييًا وقورًا، ثابتًا حمولاً صبورًا»[٢] . وقد توفي في الثالث والعشرين من شهر شوال سنة ٥٣٤هـ/ ١١٤٠م[٣] .

برز من أبناء أبي القاسم السمعاني" أبو المعالي (وقيل أبو بكر) محمد بن أحمد بن منصور السمعاني "[٤] . وكان علمًا متميّزًا،

---

(١) السمعاني : الأنساب، جـ٣، ص٣٠١ .

(٢) السمعاني : الأنساب، جـ٣، ص٣٠١ .

(٣) المصدر نفسه، جـ٣، ص٣٠١، السبكي : طبقات الشافعية الكبرى، جـ٦ ص٦٦ .

(٤) ذكر " المنذري " أنّ " محمد بن أحمد بن منصور السمعاني " يكنّى " أبا المعالي "، انظر : (التكملة لوفيات النقلة، تحقيق : د. بشّار عوّاد معروف، الطبعة الثالثة، مؤسسة الرسالة، بيروت ،١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م، جـ١، ص٦٠) في حين أشار " السبكي " إلى أنّه يكنّى " أبا بكر "، انظر: (طبقات الشافعية الكبرى، جـ٦، ص٨٧) .

ورجلاً وجيهًا ، ذا منزلة عالية ، ومكانة مرموقة . وصفه" المنذري " بـ « الشيخ الأصيل »[١] ، كما وصفه " السبكي " بأنه « شابٌ رفيع الشأن ، من صدور خراسان ، ومن أفراد الزمان »[٢] . وكان بارعًا في الخطابة ، مشهورًا بالفصاحة والبلاغة [٣] .

وعلى الرغم من هذه المكانة العالية التي كان يتمتّع بها ، والفصاحة التي كان يتّصف بها ، فإن كثيرًا من المؤرخين لايعرف شيئًا عنه ، ولم تترجم له جُلّ كتب التراجم ، بل إن" أبا سعد السمعاني " لم يُشر إليه في « أنسابه » عندما تحدّث عن المشاهير مَن آل بيته . وقد توفّي في مدينة بغداد ، وكان قد سار إليها وأقام بها فترة من الزمن [٤] .

لم يكن نبوغ السمعانيين في المشرق مقتصرًا على رجالهم فحسب ، بل ظهر منهم نساءٌ كُنّ على جانب كبير من الفضل والعلم والورع ، كان منهنّ " أمة الله حرّة بنت محمد بن منصور السمعاني" ، شقيقة الإمام الحافظ " أبي سعد السمعاني " . وُلدتْ في شهر رجب سنة ٤٩١ هـ/ ١٠٩٨م [٥] ، وكانت « امرأةً صالحةً عفيفةً ، كثيرة الدرس للقرآن ، مُديمةً للصوم ، راغبةً في الخير وأعمال البرّ » . أجاز لها " أبو غالب محمد بن الحسن الباقلاّني " ، وذكر شقيقها الحافظ " أبو

---

(١) المنذري : المصدر السابق ، جـ١ ، ص٦٠ .

(٢) السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، جـ٦ ، ص٨٧ .

(٣) المصدر نفسه ، جـ٦ ، ص٨٧ .

(٤) المنذري : التكملة لوفيات النقلة ، جـ١ ، ص٦٠ ـ٦١ .

(٥) السمعاني : الأنساب ، جـ٣ ، ص٣٠١ .

سعد السمعاني " في « أنسابه » أنّه قرأ عليها أحاديث وحكايات[1] ، ولم يُشر إلى تاريخ وفاتها ، ولعلّها عاشت إلى ما بعد وفاته في سنة ٥٦٢ هـ/ ١١٦٧ م .

وممّن عُرف من أبناء الأسرة السمعانية في المشرق" أبو المظفر عبد الوهاب بن محمد بن منصور السمعاني" ، الأخ الأكبر للإمام أبي سعد السمعاني[2] . وُلد في السابع والعشرين من المحرم سنة ٥٠٥هـ/ ١١١١م[3] . وعدّه أبو سعد السمعاني من شيوخه ، رغم أنه مات قبل سنّ البلوغ ، حيث ترجمَ له في كتابه « التحبير في المعجم الكبير »[4] ـ وهو الكتاب الذي خصّصه " السمعاني " لتراجم شيوخه[5] ـ وقد توفّي في آخر يوم من ذي الحجة سنة٥١٧ هـ/ ١١٢٤م[6] .

في تلك الفترة كان نجم الإمام العلاّمة " أبي سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور السمعاني" قد بدأ في البزوغ ، وهو مايعني بداية مرحلة جديدة بالغة الأهمّية في حياة تلك الأسرة الكبيرة المتألّقة (أسرة السمعانيين) في إقليم خراسان بخاصة ، وبلاد المشرق الإسلامي بعامّة .

---

(١) المصدر نفسه ، جـ٣ ، ص٣٠١ .

(٢) السمعاني : التحبير في المعجم الكبير ، جـ١ ، ص٥٠٣ .

(٣) المصدر نفسه ، جـ١ ، ص٥٠٣ـ٥٠٤ .

(٤) المصدر نفسه ، جـ١ ، ص٥٠٣ـ٥٠٤ .

(٥) المصدر نفسه ، جـ١ ، ص١٣ ، ٤٧ .

(٦) المصدر نفسه ، جـ١ ، ص٥٠٤ .

وُلد الحافظ " أبو سعد السمعاني " في شعبان سنة ٥٠٦هـ/ ١١١٣م ، في مدينة " مرو " - حاضرة إقليم خراسان - وتوفي والده وهو في الرابعة من عمره (١) ، فعاش في كنف أعمامه وآل بيته ، ونشأ منذ صغره مُحبًا للعلم (٢) ، دؤوبًا في طلبه ، وظلّ كذلك حتى أضحى واحدًا من أعظم العلماء الذين أنجبتْهم بلاد المشرق الإسلامي على مرّ العصور .

كان الإمام " أبو سعد السمعاني " - رحمه الله تعالى - محلّ ثناء العلماء وتقديرهم ، ولا غَرْو فهو ألمع السمعانيين في المشرق ، وأوسعهم شهرةً ، وأعظمهم قدرًا ومنزلة . فكان علاّمةً بارعًا ذكيًا ، «ثقةً حافظًا حجّةً واسع الرحلة ، عدلاً ديّنًا جميل السيرة ، حسن الصحبة » (٣) . كما كان « واسع العلم ، كثير الفضائل ، ظريفًا لطيفًا متجمّلاً نظيفًا ، نبيلاً شريفًا » (٤) ، عالي الهمّة في طلب العلم ، مجتهدًا ، ضابطًا لأوقاته (٥) .

---

(١) توفي والده (محمد بن منصور السمعاني) سنة ٥١٠ هـ - كما تَقَدّم .

(٢) ابن عبد الهادي الدمشقي : طبقات علماء الحديث ، تحقيق : أكرم البوشي ، و إبراهيم الزيبق ، الطبعة الثانية ، مؤسّسة الرسالة ، بيروت ،١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م ، جـ٤ ، ص٩٣ ، الذهبي : تاريخ الإسلام ، حوادث ووفيات (٥٦١ - ٥٧٠هـ) ، ص١١٩ - ١٢٠ ، تذكرة الحُفّاظ ، جـ٤ ، ص١٣١٦ ، سير أعلام النبلاء ، جـ٢٠ ، ص٤٥٦ - ٤٥٧ ، السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، جـ٧ ، ص١٨١ ، الأسنوي : طبقات الشافعية ، جـ١ ، ص٣٣٧ .

(٣) الذهبي : تذكرة الحفّاظ ، جـ٤ ، ص١٣١٦ .

(٤) العبر في خبر من غبر ، جـ٣ ، ص٣٨ .

(٥) الذهبي : تاريخ الإسلام ، حوادث ووفيات (٥٦١ - ٥٧٠ هـ) ، ص١٢١ .

وقد وصفه معاصره الحافظ " ابن عساكر " - صاحب « تاريخ دمشق » - بقوله : « . . وكان عفيفًا حسن الأخلاق . . . . طوّف فاستفاد ، وحدّث فأفاد ، وأحيا ذكْر سلَفه ، وأبقى ثناءً صالحًا لخلَفه . . . . وهو الآن [1] شيخ خراسان غير مدافع ، عن صدق ومعرفة ، والله يُبقيه لنشر السنة ، ويوفّقه لأعمال أهل الجنّة »[2] . . وأطنب " ابن الأثير " في مدحه فقال : « كان واسطة عقد البيت السمعاني ، وعينهم الباصرة ، ويدهم الناصرة ، إليه انتهت رئاستهم ، وبه كملت سيادتهم ، رحل في طلب العلم والحديث إلى شرق الأرض وغربها ، وشمالها وجنوبها » [3] .

ويمكن القول : إنّ الشهرة الواسعة والمكانة العالية التي حظيَ بها السمعانيّون ، إنّما كان من أسبابها ما بلغه الإمام " أبو سعد السمعاني " - بوجه خاصّ - من شأن كبير في الميدان العلمي ، وما نالهُ من منزلة رفيعة عند العلماء على امتداد العصور .

وعلى الرغم من إجماع الكثير من العلماء على علوّ منزلة الإمام " أبي سعد السمعاني " ، وطول باعه في مختلف العلوم والمعارف ، إلاّ أنّه لم يَنْجُ مَن نقد بعض معاصريه ، بل وتحاملهم عليه ، فقد انتقده الإمام الحافظ " ابن الجوزي " انتقاداً لاذعًا ، وبالغ في الحطّ من قدره[4] .

---

(١) أي في أيّام الحافظ " ابن عساكر " المتوفّى سنة ٥٧١ هـ .

(٢) ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق ، تحقيق: محبّ الدين عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر ، بيروت ، جـ٣٦ ، ص٤٤٨ .

(٣) اللباب في تهذيب الأنساب ، جـ١ ، ص١٤ .

(٤) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، جـ١٨ ، ص١٧٩ .

وقد انبرى عددٌ من المؤرّخين ـ ومنهم : " ابن الأثير " [1] و " أبو الفداء " [2] و " ابن الوردي " [3] ـ للدفاع عن " السمعاني " ، ونفوا عنه ما ذكره " ابن الجوزي " ، وأشاروا إلى أنّ اختلاف مذهب الرجلين هو الذي دفع " ابن الجوزي " إلى استنقاص شأن " السمعاني " .

هذا وقد ظلّ الإمام " أبو سعد السمعاني " معظم سنيّ حياته دؤوبًا في طلب العلم ، حريصًا على تحصيله ، مجتهدًا في لقاء العلماء والإفادة منهم ، كثير التنقّل والترحال بين المدن والبلدان ، ولم يزل على تلك الحال حتى لقي وجه ربّه الكريم ، في مستهلّ ربيع الأول سنة ٥٦٢ هـ/١١٦٧م [4] ، في مدينة " مرو " [5] ، بعد أن بلغ السادسة والخمسين من عمره ، رحمه الله تعالى رحمةً واسعة .

---

(١) الكامل في التاريخ ، جـ١١ ، ص٣٣٣ .

(٢) المختصر في أخبار البشر ، جـ٣ ، ص٤٤ .

(٣) تاريخ ابن الوردي ، جـ٢ ، ص١٠٤ .

(٤) ابن الأثير : اللباب في تهذيب الأنساب ، جـ١ ، ص١٦ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ٣ ، ص٢١٠ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ٢٠ ، ص٤٦٣ ، ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، جـ٥ ، ص ٣٥٦ (أشار "ابن الجوزي " و " ابن الوردي " إلى أن الإمام " السمعاني " توفي سنة٥٦٣ هـ ، وليس ذلك بصحيح ، انظر : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، جـ١٨ ، ص١٧٨ ، تاريخ ابن الوردي ، جـ٢ ، ص١٠٤).

(٥) ابن الأثير : اللباب ، جـ١ ، ص١٦ ، السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، جـ٧ ، ص١٨٥ ، ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، جـ٤ ، ص٢٠٦

ترك " أبو سعد السمعاني " بعد وفاته عدداً من الأبناء ، كان أشهرهم " فخر الدينِ أبو المظفر عبد الرحيم بن عبد الكريم السمعاني" وُلد " عبد الرحيم " هذا في ذي القعدة سنة٥٣٧هـ/ ١١٤٣م ، وتعهّده والده منذ صغره بالتربية الحسنة والرعاية والاهتمام ، واعتنى به عنايةً كبيرة ، فاصطحبه معه في رحلاته بين المدن والأمصار الإسلامية ، فنشأ نشأةً علمية[(١)] . وورث عن أبيه حبّ العلم ، فاشتغل بالحديث والفقه والأدب « وحصّل من كلّ فنّ ، وانتهت إليه رئاسة الشافعية ببلده . وكان معظّمًا محترمًا »[(٢)] .

وصفه الحافظ الذهبي بـ« الشيخ الإمام العلاّمة المفتي المحدّث»[(٣)] وقال عنه : « وكان صدراً معظّمًا مكمّلاً ، بصيراً بالمذهب ، له أنَسَةٌ بالحديث »[(٤)] . كما « كان فاضلاً جليلاً نبيلاً متدينًا ، محبًا لرواية العلم ، ذا أخلاق حسنة ، وسيرة جميلة »[(٥)] . وقد توفّي إبّان الغزو المغولي لبلاد خراسان ، في أواخِر سنة٦١٧هـ/ ١٢٢٠م ، وقيل في أوّل سنة ٦١٨هـ/ ١٢٢١م[(٦)] .

---

(١) الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ٢٢ ، ص١٠٧ .

(٢) المصدر نفسه ، جـ٢٢ ، ص١٠٧ .

(٣) المصدر نفسه ، جـ٢٢ ، ص١٠٧ .

(٤) المصدر نفسه ، جـ٢٢ ، ص١٠٩ .

(٥) ابن الدمياطي : المستفاد من ذيل تاريخ بغداد ، تحقيق: د . قيصر أبو فرح ، دار الكتب العلمية ، بيروت ص١٥٧ .

(٦) الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ٢٢ ، ص١٠٩ ، ابن قاضي شهبة : طبقات الشافعية ، جـ١ ، ص٣٨٩.

كان للإمام الحافظ " أبي سعد السمعاني " ابنٌ آخر هو " أبو زيد محمد بن عبد الكريم السمعاني " ، وهو أصغر سنًا من أخيه عبد الرحيم . ولُد سنة ٥٥٤هـ/ ١١٥٩م [١] ، وكان هو أيضاً ميّالاً إلى العلم ، وإن لم يكن بذات المستوى الذي كان عليه أخوه" عبد الرحيم " .

ويُفهم ممّا تشير إليه بعض الروايات التاريخية أنّ" أبا زيد السمعاني " كانت له منزلة حسنة عند سلاطين الدولة الخوارزمية ، والتي كان نفوذها قد أخذ في التنامي في بلاد المشرق الإسلامي في ذلك الحين ، فقد ذكرت هذه الروايات أنّه « اختصّ بخدمة السلطان محمّد بن تكش الخوارزمي [٢] ، وتقدّم عنده » [٣] ، واختاره السلطان رسولاً إلى الخليفة العباسي في بغداد أكثر من مرّة [٤] .

(١) الذهبي : المختصر المحتاج إليه من تاريخ الحافظ أبي عبد الله بن الدبيثي ، (ذيل تاريخ بغداد) ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م ، جـ١٥ ، ص٤٣ .

(٢) هو " علاء الدين محمد بن تكش " الملقّب (خوارزم شاه) ، من سلاطين الدولة الخوارزمية في المشرق ، تولّى الحكْم في سنة٥٩٦هـ ، وفي أيّامه ظهر المغول بقيادة " جنكيز خان " فحاول مواجهتهم ، ولكنّه لم ينجح ، توفّي سنة ٦١٧هـ ، انظر عنه : (ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، جـ١٢ ، ص١٥٧ ، ٣٧١ ـ ٣٧٢ ، النسوي : سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي ، تحقيق: حافظ أحمد حمدي ، دار الفكر العربي ، القاهرة ،١٩٥٣م ، ص٣٤ وما بعدها ، عباس إقبال : تاريخ إيران بعد الإسلام ، ص٣٢٩ ـ ٣٣٩ ، زامباور : معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي ، ص٣١٧ ، سعد بن محمد الغامدي : أوضاع الدول الإسلامية في الشرق الإسلامي ، ص١٦١ وما بعدها) .

(٣) الذهبي : تاريخ الإسلام ، حوادث ووفيات (٦١١ ـ ٦٢٠ هـ) ، ص٣٤٩ .

(٤) المصدر نفسه ، حوادث ووفيات (٦١١ ـ ٦٢٠ هـ)، ص٣٤٩ ، سير أعلام النبلاء ، جـ٢٢ ، ص١٠٩ .

ولم تذكر المصادر التاريخية شيئًا عن المهامّ التي بُعث من أجلها إلى دار الخلافة ، كما لم تكشف النقاب عن شخصية الخليفة . وأغلب الظنّ أن المعْني به الخليفة" الناصر لدين الله " ، الذي حكم في الفترة الواقعة بين عامَي (٥٧٥ ـ ٦٢٢هـ) ، يؤيّد ذلك ما أشارت إليه بعض الروايات من أنّ " أبا زيد السمعاني " كان في " بغداد " في سنة ٦٠١هـ[(١)] ، وما ذكره الحافظ أبو عبد الله بن الدبيثي ـ المتوفّى سنة ٦٣٧هـ ـ من أنه رأى " أبا زيد " سنة ٦٠٢هـ[(٢)] ، وذلك عندما أشار إلى قدومه بغداد . كما أنّ عهد الخليفة الناصر لدين الله هو الذي شهد اتّصالاتٍ وعلاقاتٍ واضحة بين الخلافة العباسية والدولة الخوارزمية[(٣)] .

هذا ويمكن القول : إن " أبا زيد السمعاني " لم يحظَ بنفس المنزلة التي حظِيَ بها أخوه عبد الرحيم ، ذلك أنّ " عبد الرحيم " اعتُبر آخر من برزَ من السمعانيّين في بلاد المشرق الإسلامي ، لاسيّما في ميدان العلم والأدب ، يدلّ على ذلك ما ذكرتْه بعض المصادر في ترجمتها له بقولها : « . . وخُتم به البيت السمعاني »[(٤)] ، على الرغم من أنّ أخاه " أبا زيد " كان أصغر منه سنًا .

---

(١) الذهبي : تاريخ الإسلام ، حوادث ووفيات (٦١١ ـ ٦٢٠ هـ) ، ص٣٤٩ .

(٢) الذهبي : المختصر المحتاج إليه ، جـ١٥ ، ص٤٢ ـ ٤٣ .

(٣) لمعرفة طبيعة العلاقات بين الخلافة العباسية والدولة الخوارزمية في ذلك العصر ، انظر : (النسوي : سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي ، ص٤٩ وما بعدها ، عباس إقبال : تاريخ إيران بعد الإسلام ، ص٣٣ ـ ٣٣٤ ، سعد بن محمد الغامدي : أوضاع الدول الإسلامية في الشرق الإسلامي ، ص٨١ ـ ١٤٠) .

(٤) الإسنوي : طبقات الشافعية ، جـ١ ، ص٣٤٢ ، ابن قاضي شهبة : طبقات الشافعية ، جـ١ ، ص٣٨٩ ، ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب ، جـ٥ ، ص٧٦ .

على أيّ حال ، لم يعد للسمعانيّين في المشرق ذكْرٌ واضح بعد نهاية العقد الثاني من القرن السابع الهجري ، ولا يُدرى هل نزحوا عن ذلك الإقليم إلى بلاد أخرى ، أم اضمحلّ شأنهم . وربّما كان لظهور المغول على ساحة الأحداث في أوائل القرن السابع الهجري ، واندفاعهم من أواسط آسيا إلى بلاد المشرق الإسلامي ، وسقوط عدد من المدن الإسلامية في أيديهم في ذلك الحين ، ومن بينها مدينة " مرو " (١) موطن السمعانيين ، ربّما كان لذلك أثره الكبير في اضمحلال شأن هذه الأسرة العربية العريقة .

جهود السمعانيّين في ميدان الرحلة في طلب العلم ولقاء العلماء :

تُعدّ الرحلة في طلب العلم مَطلبًا رئيسًا وأمرًا مُهمًّا في حياة العلماء ، ولذا كان أكثرهم يجتهد في السفر إلى مختلف البلدان ، ويُمضي سنين عديدة في التنقّل والترحال بين المدن والأمصار (٢) ، يلتقي بالعلماء فيتتلمذ عليهم ، ويُلازمهم ، وينهل من علمهم ، ويتأسّى بأخلاقهم .

---

(١) عن هجوم المغول على مدينة " مرْو " ، انظر: (ابن الأثير : الكامل ، جـ١٢ ، ص٣٩١ـ٣٩٣) .

(٢) عن أهمّية الرحلة في طلب العلم وأثرها في حياة العلماء ، انظر : (الخطيب البغدادي : الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ، تحقيق: محمود الطحّان ، مكتبة المعارف ، الرياض ،١٤٠٣هـ/١٩٨٣م ، جـ٢ ، ص٢٢٣ـ٢٤٨ ، مريزن سعيد مريزن عسيري: الحياة العلمية في العراق في العصر السلجوقي ، الطبعة الأولى ، مكتبة الطالب الجامعي ، مكّة المكرّمة ،١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م ، ص٢٤٤ـ٢٤٩) .

وقد أدرك السمعانيوّن أهمّية الرحلة في طلب العلم وضرورتها ، فبذلوا جهوداً كبيرةً من أجلها ، وصار بعضهم فرساناً في ميدانها ، يُضرب به المثل في كثرة الترحال ولقاء العلماء ، وطوّف أكثرهم بلاداً وأقاليم عديدة ، وزار مدناً وقرى كثيرة ، وكان لجهودهم المميّزة في الرحلات أثرها الكبير في الحياة العلمية في المشرق الإسلامي ، فقد كانوا يلتقون في أثنائها بالعلماء فيُدارسونهم ويسمعون منهم ويروون عنهم .

ومن أوائل السمعانيّين الذين اشتهروا بسعة رحلاتهم في طلب العلم ، الإمام " أبو المظفر السمعاني " ، فقد طوّف في العديد من البلدان ، فزار بعض مدن المشرق ، مثل" نيسابور " [1] و " قزوين " [2] و " جُرجان " [3] و غيرها [4] ، وسافر إلى العراق

(١) (نيسابور) : مدينةٌ عظيمةٌ من كبريات مدن خراسان ، فُتحتْ في عهد الخليفة "عمر بن الخطّاب " رضي الله عنه ، وقيل إنّها فُتحتْ في عهد الخليفة " عثمان ابن عفّان " رضي الله عنه ، سنة ٣١هـ. (ياقوت : معجم البلدان ، جـ ٥ ، ص٣٣١) .

(٢) (قَزْوِيْن) : مدينةٌ قديمةٌ ، تقع في إقليم الجبال ، على تخوم بلاد " الديلم " أسّسهَا ملك الفرس " سابور ذو الأكتاف " ، وفتحها المسلمون في أوائل خلافة " عثمان بن عفّان " رضي الله عنه ، وصارت ثغراً لهم على بلاد " الديلم " (الرافعي : التدوين في أخبار قزوين ، جـ١ ، ص٣٣ ، ٤١ ، ٤٤ ، ياقوت : المصدر السابق ، جـ ٤ ، ص٣٤٢-٣٤٣) ، وانظر عن موقع " قزوين " أيضًا : (لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، الخارطة ٥) .

(٣) (جُرْجان) : مدينةٌ مشهورةٌ من مدن المشرق ، تقع في إقليم يُسمّى (جرجان) أيضًا ، بين إقليمَي " طَبَرستان " و " خراسان " ، بناها الوالي الأموي " يزيد ابن المهلّب بن أبي صفرة " . (ياقوت : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص١١٩) .

(٤) الرافعي : التدوين في أخبار قزوين ، جـ٤ ، ص١١٩ ، الذهبي : تاريخ الإسلام ، حوادث ووفيات (٤٨١ ـ ٤٩٠ هـ) ، ص٣٢١-٣٢٢ ، سير أعلام النبلاء ، جـ١٩ ، ص١١٥ .

فدخل بغداد سنة ٤٦١هـ/ ١٠٦٩م ، وسمع الحديث الكثير بها ، والْتقى بعدد من علمائها [١] ، وجرت بينه وبينهم مناظراتٌ ومحاوراتٌ علمية [٢] . كما حجّ في سنة ٤٦٢هـ ، ولازمَ بعض العلماء في مكّة فأفاد منهم ، وكان أيضًا قد سمع من عدد من علماء بلده (مرْو) [٣] .

وممّا يُبرز اهتمام الإمام " أبي المظفّر السمعاني " بلقاء العلماء وحرصه على طلب العلم على أيديهم والإفادة منهم ، أنّه كان في طريقه إلى الحجّ ذات سنة ، فكان كلّما دخل بلدةً من البلاد التي مرّ بها نزل على بعض علمائها ، وطلب الحديث عليهم ، حتّى بلغ مكّة [٤] وهناك ظلّ ملازمًا لشيخ الحرم" أبي القاسم الزنجاني " [٥] ، حتّى صار محدثًا [٦] .

وحينما تحوّل من مذهب الإمام " أبي حنيفة " إلى مذهب الإمام " الشافعي " ، واضطرب أتباعه في مدينة" مرْو " ، واضطرّ إلى المسير إلى " نيسابور " والبقاء فيها لفترة من الزمن ، حرص على أن

---

(١) ابن الجوزي : المنتظم ، جـ١٧ ، ص٣٧ .

(٢) السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، جـ٥ ، ص٣٣٦ .

(٣) الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ١٩ ، ص١١٤ ـ ١١٥ ، ١١٨ .

(٤) الذهبي : تاريخ الإسلام ، حوادث ووفيات (٤٨١ ـ ٤٩٠ هـ)، ص٣٢٥ ، سير أعلام النبلاء ، جـ ١٩ ، ص١١٨ ، السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، جـ٥ ، ص٣٣٨ .

(٥) الرافعي : التدوين في أخبار قزوين ، جـ٤ ، ص١١٨ .

(٦) الذهبي : تاريخ الإسلام ، حوادث ووفيات (٤٨١ ـ ٤٩٠ هـ) ، ص٣٢٥ ، سير أعلام النبلاء ، جـ ١٩ ، ص١١٨ ، السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، جـ٥ ، ص٣٣٨ .

يُفيد من علمائها خلال فترة وجوده بينهم ، فسمع من العديد منهم[1] . ولعلّ هذا يُعطي دلالةً أخرى على مدى اهتمامه بطلب العلم ، إذْ إنّه خرج مضطراً من مدينة " مرْو " إلى " نيسابور " ، ومع هذا حرص على استثمار مقامه في تلك المدينة ، فراح يلتقي بشيوخها وينهل من علمهم .

وهكذا كان " أبو المظفر السمعاني " يتنقّل من بلدٍ إلى آخر ، ومن إقليم إلى إقليم ، يلتقي بالعلماء ، فيتتلمذ عليهم ، ويُدارسهم ويُناظرهم ، يتحمّل من أجل ذلك وعثاء السفر ، ومشاقّ الطريق ، لا يثنيه عن ذلك ما كان يواجهه في رحلاته لطلب العلم من مواقف حرجة ، أو متاعب قاسية .

ومن عجيب ما جرى له في أسفاره ، أنه حجّ ذات سنة مع نفر من أصحابه ، فأسرهم بعض الأعراب في الطريق ، وجعلوا أبا المظفر راعيًا لإبلهم ، وحدث حينذاك أنّ كبير أولئك الأعراب أراد أنْ يزوّج بنتًا له ، وعزم على الذهاب إلى الحاضرة ، كيما يجد شيخًا يعقد لهم زواجهم ، فقال أحد أصحاب " أبي المظفر " : هذا الذي يرعى جمالكم فقيه خراسان ، فسألوا أبا المظفر عن بعض الأمور ، فأجابهم ، وكلّمهم بالعربية ، فخجلوا منه ، واعتذروا إليه ، وعقد لهم عقد الزواج ، فسُرّوا بذلك ، وفكّوا أسره ، وسيّروه إلى مكة[2] .

---

(١) الصريفيني : المنتخب من السياق ، ص٤٤٣ .

(٢) الذهبي : تاريخ الإسلام ، حوادث ووفيات (٤٨١ ـ ٤٩٠ هـ) ، ص٣٢٢ ، سير أعلام النبلاء ، جـ١٩ ، ص١١٥ .

ولعلّ هذا الموقف العجيب الذي جرى لأبي المظفّر السمعاني ، يُبرز كيف كان لنبوغه العلمي أثره البالغ في علوّ مقامه والرفع من شأنه، ليس عند أرباب العلم فحسْب ، بل وحتّى عند الذين لا يفقهون في العلم شيئًا ، فما أن أدرك أولئك الأعراب أنّ أسيرهم رجل علم ، حتّى تغيّر موقفهم منه بدرجةٍ كبيرة ، فسَمَتْ منزلته عندهم ، وصار محلّ تقديرهم وتبجيلهم .

وكان " أبو بكر محمد بن منصور السمعاني " مثل أبيه حريصًا على الرحلة في طلب العلم ولقاء العلماء ، فقد تنقّل بين بلدان عديدة، وسمع من علمائها الكثير ، فرحل إلى بعض مدن المشرق الإسلامي ، مثل " نيسابور " و " أصبهان " [1] و " همذان " [2]، و " الريّ " [3] ، وسافر إلى العراق ، فتتلمذ على بعض علماء " بغداد" و " الكوفة " ، ورحل أيضًا إلى الحجاز ، فسمع من عدد

---

(١) (أصْبَهان) : مدينةٌ مشهورةٌ من كبريات مدن المشرق ، تقع في إقليم الجبال ، وهي واسعة المساحة ، تتبعها آلافٌ من القرى ، فتحها المسلمون في خلافة "عمر ابن الخطّاب " رضي الله عنه (ياقوت : معجم البلدان ، جـ١ ، ص٢٠٦-٢٠٩) .

(٢) (هَمَذان) : مدينةٌ قديمةٌ في إقليم الجبال ، فتحها " المغيرة بن شعبة " سنة ٢٤هـ ، امتدحها " ياقوت الحموي " ، فذكر أنّها (من أحسن البلاد وأنزهها وأطيبها). (معجم البلدان ، جـ٥ ، ص٤١٠-٤١٢) .

(٣) (الريّ) : مدينةٌ كبيرةٌ من مدن المشرق الإسلامي ، وهي قصبة إقليم الجبال ، وأكبر المدن فيه ، تبعد عن " نيسابور " مائة وستين فرسخًا (٤٨٠ ميلاً) ، وعن " قزوين " سبعةً وعشرين فرسخًا (٨١ ميلاً) . فُتحت في خلافة " عمر ابن الخطّاب " رضي الله عنه (ياقوت : معجم البلدان ، جـ٣ ، ص١١٦-١١٨) .

من علماء " مكة " . وكان أيضًا قد تلقّى العلم على العديد من شيوخ بَلَده (مرو) [(١)] .

وطلب " أبو محمد الحسن بن منصور السمعاني" ، العلم في مدينتَي " مرو " و " نيسابور " وغيرهما من بلدان المشرق الإسلامي ، وتتلمذ على عدد من علماء عصره[(٢)] . وكان ابنه " أبو منصور محمد ابن الحسن السمعاني " ينهج نهجه في حب العلم ، والسعي في طلبه ، فقد تتلمذ أيضًا على عدد من علماء زمانه ، منهم عمّه أبو بكر محمد بن منصور السمعاني " [(٣)] .

وللإمام " أبي القاسم أحمد بن منصور السمعاني " عنايةٌ بلقاء العلماء والسماع منهم ، فقد طلب العلم في مدينة" مرو " ـ موطنه وموطن آبائه وأجداده ـ وتتلمذ على عدد من علمائها ، كما ساح في عدد من مدن المشرق الإسلامي لطلب العلم ، مثل" سَرْخَس " [(٤)]

---

(١) عن رحلات الإمام " أبي بكر السمعاني " في طلب العلم ، وشيوخه ، انظر: (السمعاني : الأنساب ، جـ٣ ، ص٣٠٠ ، ابن الجوزي : المنتظم ، جـ ١٧ ، ص١٤٩ ـ ١٥٠ ، ابن عبد الهادي الدمشقي : طبقات علماء الحديث ، جـ٤ ، ص٣٩ ، الذهبي : تاريخ الإسلام ، حوادث ووفيات (٥٠١ ـ ٥١٠ هـ) ، ص٢٦٠ ، تذكرة الحفاظ ، جـ ٤ ، ص١٢٦٧ ، سير أعلام النبلاء ، جـ١٩ ، ص٣٧٢ ، السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، جـ ٧ ، ص٥ ، الداوودي : طبقات المفسرين ، جـ٢ ، ص٢٥٩) .

(٢) السمعاني : الأنساب ، جـ٣ ، ص٣٠٠ ، التحبير في المعجم الكبير ، جـ١ ، ص٢١٦ ـ ٢١٨ .

(٣) السمعاني : التحبير ، جـ٢ ، ص١١٢ .

(٤) (سَرْخَس) : مدينةٌ قديمةٌ في إقليم خراسان ، تقع في منتصف الطريق الذي يصل بين مدينتَي " مرْو " و " نيسابور ". (ياقوت : معجم البلدان ، جـ ٣ ص٢٠٨)./

و " نيسابور " و " طوس " [1] . وكان يصحبه في رحلاته وتنقلاته بين تلك المدن ابن أخيه الإمام الحافظ " أبوسعد السمعاني " [2] .

وقام نجله " محمد بن أحمد بن منصور السمعاني " ، برحلتين إلى إقليم " خوارزم " [3] ، المجاور لإقليمَي خراسان وما وراء النهر [4] كما رحل إلى " بغداد " وعاش فيها سنوات عدّة ، وبها توفّي [5] .

وسافر " أبو العلاء علي بن علي بن محمد بن عبد الجبار السمعاني " من بلاد " كرمان " ـ حيث كان يُقيم فيها مع أبيه ـ إلى مدينة " مرو " في إقليم خراسان ؛ ليتفقّه على عمّه الإمام الحافظ " أبي المظفر منصور بن محمد السمعاني " ، وأقام هناك فترةً من الزمن ، ثمّ عاد إلى بلاد " كرمان " [6] .

---

(١) طُوس : (مدينة في إقليم خراسان ، فتحها المسلمون في خلافة " عثمان بن عفّان " رضي الله عنه ، تبعد عن مدينة " نيسابور " قرابة عشرة فراسخ (٣٠ ميلاً) ، وهي تشتمل على بلدتين ، إحداهما تُسمّى (الطابران) ، والأخرى (نوقان) ، ويتبعهما أكثر من ألف قرية (ياقوت : معجم البلدان ، جـ٤ ، ص٤٩) .

(٢) السمعاني : الأنساب ، جـ٣ ، ص٣٠١ ، السبكي : طبقات الشافعية الكبرى جـ٦ ، ص٦٥ـ٦٦ .

(٣) السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، جـ٦ ، ص٨٧ .

(٤) (خُوَارزم) : إقليمٌ من أقاليم المشرق ، مجاور لإقليمَي " خراسان " و " ما وراء النهر " ، قصبته تُسمّى (الجُرجانيّة) زار " ياقوت الحموي " هذا الإقليم في سنة٦١٦ هـ ، وأطنب في الثناء عليه ، وذكر شدّة برودته ، وتجمّد الأنهار فيه . (معجم البلدان ، جـ٢ ، ص٣٩٥ـ٣٩٧) ، وانظر عن موقع " خوارزم " بالنسبة لإقليمَي " خراسان " و " ما وراء النهر " : (لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، الخارطة« ١ ») .

(٥) المنذري : التكملة لوفيات النقلة ، جـ١ ، ص٦٠ـ٦١ .

(٦) السمعاني : الأنساب ، جـ٣ ، ص٢٩٨ .

كما كان لأبي المظفر عبد الوهاب بن محمد بن منصور السمعاني ، الأخ الأكبر للإمام " أبي سعد السمعاني " بعض الرحلات العلمية ، حيث ذكرت بعض الروايات أنّه طلب العلم في مدينتَي " نيسابور " ، و " سَرْخس " [1] . ولم تُشر المصادر التاريخية إلى رحلات أخرى له غيرها ، ولعلّ ذلك يُعزى إلى أنّه لم يُعمّر طويلاً ، بل توفّي وهو في سنٍّ مبكّرة ، كما ذكرنا في صفحة سابقة .

واشتهر الإمام " أبو سعد السمعاني " بكثرة أسفاره ، وسعة رحلاته في طلب العلم ، ولقاء العلماء ، حيث أمضى شطرًا طويلاً من حياته في التنقّل بين الأمصار الإسلامية ، فطوّف في عدد من مدن خراسان ، كما رحل إلى بلاد ما وراء النهر ، والعراق ، والشام ، والحجاز ، وزار عشرات المدن في هذه الأقاليم ، كما زار القدس والخليل ، رغم أنهما كانتا حينذاك بأيدي الفرنج (الصليبيّين) [2] ، وهو مالم يتيسّر لكثير من العلماء في ذلك الزمن .

لقد كان الإمام " أبو سعد " حريصًا على لقاء العلماء والحُفّاظ وطلب العلم على أيديهم والإفادة منهم ، وربّما رحل إلى بلد من البلاد ليسمع فيها حديثًا أو كتابًا واحداً ، ومن الأمثلة الدالّة على ذلك ما ذكره في كتابه « الأنساب » من أنّه سار إلى مدينة " نيسابور " ليسمع صحيح الإمام « مسلم » من بعض علمائها ، وكان يصحبه في

---

(١) السمعاني : التحبير في المعجم الكبير ، جـ١ ، ص٥٠٣ـ٥٠٤ .

(٢) الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ٢٠ ، ص٤٥٧ـ٤٦٠ ، السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، جـ٧ ، ص١٨١ .

سفره ذلك عمّه " أبو القاسم أحمد بن منصور السمعاني " [1] ، وكانا قد اتّفقا على الرجوع إلى بلدهما " مرْو " بعد سماع «الصحيح» فلمّا سمعاه عزم " أبو القاسم " على الرحيل ، فاختفى عنه ابن أخيه الإمام " أبو سعد " ؛ لأنّه كان يرغب البقاء في " نيسابور " فترةً أخرى ، ليواصل اللقاء بعلمائها والسماع منهم ، ولكنّ عمّه انتظره ولم يرحل عن المدينة ، فعادا معًا ، ولمّا بلغا مدينة " طوس " استأذن " أبو سعد " عمّه في الرجوع إلى " نيسابور " مرّة أخرى ، فأذن له وتابع طريقه إلى " مرو " ، في حين عاد " أبو سعد " إلى " نيسابور " وأقام فيها عامًا كاملاً [2] .

وقد أُتيح للإمام " أبي سعد " أن يلتقي في أثناء رحلاته بعدد كبير من العلماء والشيوخ ، فسمع منهم « وجالسهم وروى عنهم ، واقتدى بأفعالهم الجميلة وآثارهم الحميدة » [3] . وقُدّر عدد شيوخه بأكثر من أربعة آلاف شيخ [4] ! . بل جاء في رواية أخرى أنهم يُقدَّرون بسبعة آلاف [5] !! .

---

(١) السمعاني : الأنساب ، جـ٣ ، ص٣٠١ .

(٢) السمعاني : الأنساب ، جـ٣ ، ص٣٠١ .

(٣) ابن الأثير : اللباب في تهذيب الأنساب ، جـ١ ، ص١٤ .

(٤) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، جـ١١ ، ص٣٣٣ ، اللباب ، جـ١ ، ص١٤ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ٣ ، ص٢٠٩ ، أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر ، جـ٣ ، ص٤٤ ، ابن الوردي : تاريخه ، جـ٢ ، ص١٠٤ .

(٥) الذهبي : تاريخ الإسلام ، حوادث ووفيات (٥٦١ - ٥٧٠ هـ) ، ص١٢١ ، تذكرة الحفاظ ، جـ٤ ، ص١٣١٦ ، الإسنوي : طبقات الشافعية ، جـ١ ، ص٣٣٧ ، ابن قاضي شهبة : طبقات الشافعية ، جـ١ ، ص٣٤٤ ، السيوطي : طبقات الحفّاظ ، ص٤٧٣ ، ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ، جـ٤ ، ص٢٠٥ .

والحقّ أن هذا العدد الكبير من العلماء والشيوخ الذين تتلمذ عليهم " أبو سعد السمعاني " يستوقف النظر ، ويدعو للتساؤل : إذْ كيف تيسّر له أن يلتقي بكلّ هؤلاء ، وأن يسمع منهم ويروي عنهم ؟ .

حقًّا إنّ " أبا سعد السمعاني " كان رجلاً كثير التنقّل والترحال ، ولكنّ هذا العدد الكبير من الشيوخ يظلّ مُثيرًا للتأمّل ، وداعيًا للتعجّب .

إنّ ممّا يُفسر كثرة شيوخ الإمام السمعاني ، أنه اعتبر كلَّ مَن أسمعه شيئًا من العلم قليلاً كان أم كثيرًا ، شيخًا له ، سواءً كان مَن حدّثه عالمًا أو متعلّمًا ، صغيرًا أو كبيرًا ، وآية ذلك أنه عندما ترجم لشيوخه في كتابه « التحبير في المعجم الكبير » ذكر من بينهم أخاه" أبا المظفّر عبد الوهاب بن محمد بن منصور السمعاني " على الرغم من أنه لم يسمع منه - كما ذكر - إلاّ قليلاً من الشعر [(١)] ، كما أنّ " أبا المظفّر " توفي وهو في الثانية عشرة من عمره ، حيث كان مولده في سنة ٥٠٥ هـ ، ووفاته في سنة ٥١٧ هـ [(٢)] ، فلم يبلغ مبلغ الشيوخ الذين يُعتدّ بهم ، ولم يدخل في عداد مَن يمكن وصفهم بالعلماء .

وقد أشار " ابن الأثير " إلى أنّ فئةً من شيوخ " السمعاني " لم يرو عنهم إلاّ القليل من مسائل العلم ، ولذا بلغ شيوخه هذا العدد الكبير . . يقول في هذا الصدد : « وكان عدّة شيوخه يزيد على أربعة آلاف شيخ ، روى عن كلٍّ منهم إمّا قليلاً وإمّا كثيرًا » [(٣)] .

---

(١) التحبير في المعجم الكبير ، جـ١ ، ص٥٠٣-٥٠٤ .

(٢) المصدر نفسه ، جـ١ ، ص٥٠٤ .

(٣) ابن الأثير : اللباب في تهذيب الأنساب ، جـ١ ، ص١٤ .

ولم يكن الإمام " أبو سعد السمعاني " مقتصرًا على لقاء العلماء في المدن الرئيسة فحسْب ، بل كان يلتقي بهم في القرى والبلدان الصغيرة أيضًا ، وقد ذكر بعض المؤرّخين أسماء العديد من القرى التي رحل إليها [1] ، ولعلّ هذا أحد الأسباب التي تُفسّر كثرة شيوخه ، وكيف أنّهم بلغوا بضعة آلاف . كما أنّه لم يكتف بطلب العلم على الرجال فحسب ، بل كان من شيوخه بعض النساء ، ومنهنّ فاطمة بنت علي بن زَعْبل النيسابوريّة " ، المتوفّاة سنة ٥٣٢هـ/ ١١٣٧م ، وهي عالمةٌ محدّثة [2] ، و" شهدة بنت أحمد الأبري " ، المتوفّاة سنة ٥٧٤هـ/ ١١٧٨م [3] ، وهي واعظةٌ محدّثةٌ من أهل بغداد [4] .

على أيّ حال ، تتّفق المصادر التاريخية على أنّ الإمام" أبا سعد السمعاني " تتلمذ على عدد كبير من العلماء في العديد من المدن والبلدان الإسلامية . . وقد ترجم " السمعاني " في كتابه « التحبير في المعجم الكبير » لـ(١١٩٣) عالم من العلماء والشيوخ الذين سمع منهم وروى عنهم [5] ، كما ساقت العديد من المصادر أسماء كثير منهم [6] .

---

(١) انظر : الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ٢٠ ، ص٤٥٧ـ٤٥٩ .

(٢) المصدر نفسه ، جـ١٩ ، ص٦٢٥ـ٦٢٦ .

(٣) انظر : الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ٢٠ ، ص٥٤٢ ، مريزن سعيد مريزن عسيري : الحياة العلمية في العراق في العصر السلجوقي ، ص٢١٦ـ٢١٧ .

(٤) انظر ترجمتها في(الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ٢٠ ، ص٥٤٢ـ٥٤٣) .

(٥) انظر : السمعاني : التحبير في المعجم الكبير ، مقدّمة التحقيق ، ص١٣ .

(٦) انظر : الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ٢٠ ، ص٤٥٧ـ٤٥٩ .

وقد سمع من أولئك العلماء في مدن وبلدان عديدة ، مثل: نيسابور ، وبلْخ [1] ، وهَرَاة [2] ، وسرْخسَ ، وطوَس ، وبخارى [3] وسمرقند [4] ، وهمذان ، وأصبهان ، والريّ ، وجرجان ، ومكة ، والمدينة ، وبغداد ، والكوفة ، والبصرة ، والمدائن ، وواسط ، والموصل ، ودمشق ، وحلَب ، وحماة ، وغيرها [5] .

وقد حرص الإمام" أبو سعد السمعاني " على أن يصطحب معه في بعض رحلاته بين المدن والأمصَار الإسلامية ابنه" عبد الرحيم " ، وأن يُحبّب إليه العلم ، ويُرغّبه في الرحلة من أجله ، ولذا نشأ نشأةً علميةً ، وسمع عددًا من أمّهات كتب السنة وغيرها [6] .

---

(١) (بَلْخ) : مدينةٌ مشهورةٌ في إقليم خراسان ، تبعد عن نهر " جيحون " مسافة عشرة فراسخ (٣٠ ميلاً)، افتتحها المسلمون في خلافة " عثمان بن عفّان " رضي الله عنه ، على يد " الأحنف بن قيس ". (ياقوت : معجم البلدان ، جـ١ ، ص٤٧٩ ـ ٤٨٠) .

(٢) (هَرَاة) : مدينةٌ مشهورةٌ من كبريات مدن خراسان ، امتدحها " ياقوت الحموي " ـ وكان قد زارها في سنة٦٠٧هـ ـ وذكر ما اشتهرت به من البساتين الكثيرة والمياه الغزيرة والخيرات الواسعة خرج منها عددٌ كبيرٌ من العلماء (معجم البلدان ، جـ٥ ، ص٣٩٦) .

(٣) (بُخارى) : أشهر مدينة في بلاد ما وراء النهر ، بينها وبين مدينة " سمرقند " مسافة سبعة وثلاثين فرسخًا (١١١ ميلاً) ، فتحها القائد الشهير " قتيبة بن مسلم الباهلي " سنة ٨٧ هـ. (ياقوت : معجم البلدان ، جـ١ ، ص٣٥٣ ، ٣٥٥) .

(٤) (سَمَرْقَنْد) : مدينةٌ قديمةٌ مشهورةٌ ، وقصبة إقليم " الصُغد " في بلاد ما وراء النهر ، تُعدّ ثاني مدن تلك البلاد من حيث الشهرة بعد مدينة " بُخارى " ، فتحها القائد " قُتيبة بن مسلم " بعد فتحه " بُخارى " سنة ٨٧ هـ. (ياقوت : معجم البلدان ، جـ٣ ، ص٢٤٦ ـ ٢٤٨) .

(٥) الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ٢٠ ، ص ٤٦٠ وعن رحلات الإمام " أبي سعد السمعاني " في طلب العلم ، انظر أيضًا : (ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، جـ ١١ ، ص٣٣٣ ، اللباب في تهذيب الأنساب ، جـ١ ، ص١٥ ، الذهبي : تاريخ الإسلام ، حوادث ووفيات (٥٦١ ـ ٥٧٠ هـ)، ص١٢٠) .

(٦) الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ٢٢ ، ص١٠٧ .

ويبدو أنّ " عبد الرحيم السمعاني " سار على نهج أبيه في الحرص على الإكثار من لُقْيا الشيوخ والعلماء ، ومجالستهم ، والاستماع إليهم ، والرواية عنهم ، فقد سمع من عدد كبير منهم في مدن " بخارى " و " سمرقند " و " هراة " و " نيسابور " و " مرو " ، و " بغداد " و " بلْخ " وغيرها [١] . ولذا لم يكن غريبًا أن يصبح أحد المبرّزين من السمعانيّين ، وأن يغدو من مشاهير العلماء في إقليم خراسان بخاصّة ، وفي بلاد المشرق الإسلامي بعامّة خلال تلك العصور .

ومع أنّ شقيقه " أبا زيد محمد بن عبد الكريم السمعاني" كان أقلّ منه شأنًا في الميدان العلمي ، إلاّ أنّه طلب العلم على بعض أئمّة عصره ، ومنهم والده الحافظ " أبو سعد السمعاني " ، ومحمد بن عبد الرحمن الحمدوني ، وغيرهما ، كما أشارت بعض المصادر التاريخية إلى أنّه قام ببعض الرحلات إلى مدينة" بغداد " [٢] . ومع أنّه قدم إليها رسولاً من قبَل السلطان الخوارزمي إلى الخليفة العبّاسي - كما ذكرنا من قبل - إلاّ أنَّ بعض رحلاته إليها كانت علميّةً أيضًا ، فقد ذكرت الروايات أنّه حدّث ببغداد ووعظ الناس فيها [٣] .

---

(١) انظر عن شيوخ الإمام " أبي المظفّر عبد الرحيم بن عبد الكريم السمعاني " ورحلاته في طلب العلم: (الذهبي : تاريخ الإسلام ، حوادث ووفيات (٦١١ ـ ٦٢٠ هـ) ، ص٣٤٨ـ٣٤٩ ، سير أعلام النبلاء ، جـ ٢٢ ، ص١٠٨ ، ابن الدمياطي : المستفاد من ذيل تاريخ بغداد ، ص١٥٧) .

(٢) الذهبي : تاريخ الإسلام ، حوادث ووفيات (٦١١ ـ ٦٢٠ هـ) ، ص٣٤٩ ، سير أعلام النبلاء ، جـ٢٢ ، ص١٠٩ ، المختصر المحتاج إليه ، جـ ١٥ ، ص٤٢ .

(٣) الذهبي : تاريخ الإسلام ، حوادث ووفيات (٦١١ ـ ٦٢٠ هـ) ، ص٣٤٩ ، ٣٧٥ ، المختصر المحتاج إليه ، ص٤٢ .

جهودهم في العناية بالعلوم الشرعية :

تميّز معظم السمعانيّين بحبّ العلم والسعي في طلبه وتحصيله ، وبذل جُلّهم أكثر سنيّ حياته من أجله ، وكان من نتائج ذلك تبحّرهم في مختلف العلوم ونبوغهم فيها ، وفي مقدّمتها العلوم الشرعية . .

فقد كان " أبو منصور محمد بن عبد الجبار السمعاني" - وهو أوّل مَن اشتهر من السمعانيين في المشرق - من كبار علماء مدينة " مرو " في ذلك العصر ، ومن مشاهير فقهائها . . وَصَفَه معاصره" أبو الحسن الباخرزي " بـ « إمام مرْو وحَبرها الرباني » [(١)] ، كما وصفه حفيده العلاّمة " أبو سعد السمعاني " في كتابه « الأنساب » بـ «القاضي الإمام » [(٢)] . . وكان بارعًا في مذهب الإمام أبي حنيفة ، وفقيهًا بارزًا من فقهاء ذلك المذهب في زمنه ، يدلّ على ذلك ما وصفه به " السبكي " من أنه كان من « أئمّة الحنفية » [(٣)] .

وكان " العلاّمة " أبو المظفّر منصور بن محمد السمعاني" ذاع باع طويل في ميدان العلوم الشرعية . . قال أحد العلماء يصف تبحّره في الفقه : « لو كان الفقه ثوبًا طاويًا ، لكان أبو المظفر السمعاني طِرازه »[(٤)] وكان قبل تحوّله إلى المذهب الشافعي بارعًا في مذهب الإمام

---

(١) الباخرزي : دمية القصر وعصرة أهل العصر ، جـ٢ ، ص١٦٢ .

(٢) السمعاني : الأنساب ، جـ٣ ، ص٢٩٨ .

(٣) طبقات الشافعية الكبرى ، جـ٥ ، ص٣٣٦ .

(٤) السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، جـ ٥ ، ص٣٤٢ ، ابن قاضي شهبة : طبقات الشافعية ، جـ١ ، ص٢٨٢ .

" أبي حنيفة " [(١)] ، يُعدّ من أعيان فقهاء هذا المذهب وأئمّتهم [(٢)] . ولمّا تحوّل إلى مذهب الإمام" الشافعي " نبغ فيه أيضًا وصار علَمًا من أعلامه ، ولذا أطلق عليه بعض المؤرّخين لقب « شيخ الشافعية » [(٣)] .

وإلى جانب نبوغه في الفقه ، فقد كان " أبو المظفّر " أيضًا عالمًا بالحديث النبوي الشريف ، سمعه في صغره وكِبَره ، وجمع منه «الأحاديث الألف الحسان من مسموعاته ، عن مائة شيخ له ، عن كلّ شيخ عشرة أحاديث » [(٤)] . كما كان عالمًا بالتفسير وأصول الفقه والخلاف ، وآية ذلك أنّه صنّف في هذه العلوم عددًا من الكتب .

وممّا يُعطي دلالةً بيّنةً على علوّ مقامه وتبحّره في العلوم الشرعية ، وما كان له من أثر في الحياة العلمية في زمنه ، أنّ بعض علماء عصره شبّهه بالإمام " الشافعي " رحمه الله ، حيث وصفه بقوله : « أبو المظفّر بن السمعاني شافعيُّ وقته »[(٥)] . كما لُقّب بألقاب عديدة تدلّ أيضًا على علوّ منزلته وعظيم أثره في ميدان العلوم الشرعية مثل : «مفتي خراسان » ،و« فقيه خراسان » ،و «شيخ الشافعيّة» [(٦)] ونحوها .

---

(١) ابن الجوزي : المنتظم ، جـ١٧ ، ص٣٧ ، الذهبي : تاريخ الإسلام ، حوادث ووفيات (٤٨١ ـ ٤٩٠ هـ) ، ص٣٢١ ، السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، جـ٥ ، ص٣٣٦ ، القرشي : الجواهر المضية ، جـ٣ ، ص٢٠٧ ، ابن قاضي شهبة : طبقات الشافعيّة ، جـ١ ، ص٢٨١ ، ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة، جـ٥ ، ص١٥٨ .

(٢) ابن الأثير : اللباب ، جـ١ ، ص١٣ .

(٣) الذهبي : سيَر أعلام النبلاء ، جـ١٩ ، ص١١٤ .

(٤) السمعاني : الأنساب ، جـ٣ ، ص٢٩٩ .

(٥) السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، جـ٥ ، ص٣٤٢ .

(٦) الذهبي : سيَر أعلام النبلاء ، جـ١٩ ، ص١١٤ ـ ١١٥ .

وكان " أبو القاسم علي بن محمد بن عبد الجبار السمعاني " عالمًا[1] ، بارعًا في الفقه ، لاسيّما في مذهب الإمام أبي حنيفة[2] .

كما كان ابنه" أبو العلاء علي بن علي بن محمد بن عبد الجبار السمعاني " من أهل العلم أيضًا ، فقد رحل من إقليم" كرمان " -حيث كان والده مقيمًا- إلى إقليم خراسان ، وأقام فيه فترةً من الزمن لطلب العلم ، حيث درس الفقه ، وسمع الحديث[3] . وكان هو أيضًا بارعًا في المذهب الحنفي[4] ، مثلما كان أبوه وجدّه .

وكان " أبو بكر محمد بن منصور السمعاني " فقيهًا إمامًا محدثًا حافظًا[5] . وقد أجمع الكثير من العلماء على نبوغه وتميّزه في العلوم الشرعية ، وجهوده في العناية بها ، قال" ابن الجوزي : " « كان علاّمةً في الحديث والفقه »[6] ، وقال الإمام " الذهبي : " « كان بارعًا في الحديث ومعرفته ، والفقه ودقائقه »[7] ، وأشاد به " السبكي " وذكر أنّه اطّلع على مجالس إملائه ، واستدلّ منها على

---

(١) السمعاني : الأنساب ، جـ٣ ، ص٢٩٨ .

(٢) السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، جـ٥ ، ص٣٣٦ .

(٣) السمعاني : الأنساب ، جـ٣ ، ص٢٩٨ .

(٤) السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، جـ٥ ، ص٣٣٦ .

(٥) ابن الأثير : اللباب في تهذيب الأنساب ، جـ١ ، ص١٣ ، الذهبي : تذكرة الحفاظ ، جـ٤ ، ص١٢٦٨ ، السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، جـ٧ ، ص٥ ، ابن قاضي شهبة : طبقات الشافعية ، جـ١ ، ص٣٠٢-٣٠٣ ، ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ، جـ٤ ، ص٢٩ .

(٦) المنتظم ، جـ١٧ ، ص١٥٠ .

(٧) العبر في خبر من غبر ، جـ٢ ، ص٣٩٦ .

علوّ شأنـــه في الفقـه والحديث [1] ، وامتـدحـه " ابن كـثيـر " وأشـــار إلى طـول باعـه في علم الحـديث ، فـقـال: « وكـانت له مـعـرفـةٌ تامّـةٌ بالحديـث » [2] .

وأثنى الحـــافظ " أبو طاهر السِّلفي " على الإمـــام " أبي بكـر السمعاني " ، وأشار إلى طول باعه في العلوم الشرعية ، حينما قال :

هـو المُزَنِـيُّ إبّان الفتاوى   وفي علم الحديث الترمذيّ [3]

فشبّهـه بنبوغه في ميدان الفتـاوى بالإمام" أبي إبراهيم إسماعيل بن يحـيى المُزَني " ، المتـوفّى سنة ٢٦٤ هـ/ ٨٧٨ م ، وهو عـالمٌ مـجتـهـدٌ كـبيـرٌ ، من تلاميـذ الإمـام الشـافـعي ، ومن أنصـار مـذهبـه [4] . كـمـا شبّـهـه في مـعـرفتـه بالحديث النبـوي الشـريف بالإمـام" التـرمـذي " ، المحدّث المشهور ، المتوفّى سنة ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م [5] .

وقـد بلغ في المذهب أقـصى مـراميـه ، وزاد على أقـرانه وأهل عـصـره بالتبحّر في علـم الحديث ، ومـعـرفـة الرجـال والأسـانـيـد ، ومـا يتـعلّق به

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى ، جـ٧ ، ص٧ .

(٢) البداية والنهاية ، جـ١٢ ، ص١٩٢ .

(٣) السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، جـ٧ ، ص٩ .

(٤) انظر ترجـمـة الإمـام " أبي إبراهيم إسمـاعـيل بن يحـيى المُزَني " في: (ابـن خلّكان: وفـيـات الأعـيـان ، جـ ١ ، ص٢١٧ ـ ٢١٩ ، الذهبي : سـيـر أعـلام النبـلاء ، جـ ١٢ ، ص٤٩٢ ـ ٤٩٧ ، الزركلي : الأعـلام ، الطبـعـة الخـامـسـة ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٠م ، جـ١ ، ص٣٢٩) .

(٥) انظر ترجـمـة " التـرمـذي " في: (ابن خلّكان: المصـدر السـابق ، جـ ٤ ، ص٢٧٨ ، الزركلي : الأعلام ، جـ٦ ، ص٣٢٢) .

من الجرح والتعديل، وحفظ المتون[1] .. ومما يدلّ على تبحّره في الحديث وعلومه أنّه كان يروي في مجالس وعظه الأحاديث بأسانيدها [2]، وقد حدث في أحد مجالسه أن اعترض عليه أحد الحاضرين، قائلاً: «محمد السمعاني يصعد المنبر، ويعدّ الأسامي، ونحن لا نعرف، ولعلّه يضعها في الحال» - ويعني بذلك أسامي الرواة التي يسردها في أسانيده حفظًا - وكُتب هذا الكلام في رقعة، وأُعطيتْ له، بعد أن صعد المنبر، فلمّا نظر فيها روى حديث «مَن كذب عليَّ متعمّدًا فليتبوّأ مقعده من النار» بأكثر من تسعين طريقًا، ثمّ قال: إن لم يكن في هذا البلد أحدٌ يعرف الحديث، فنعوذ بالله من المقام فيها، وإن كان هناك من له علمٌ به فليكتب عشرة أحاديث بأسانيدها، ويترك اسمًا أو اسمين من كلّ إسناد، ويخلط الأسانيد بعضها ببعض، فإن لم أُميّز بينها، وأضع كلَّ اسم منها مكانه، فهو كما يدّعيه، ففعلوا ذلك امتحانًا، فردّ كلَّ اسم إلى موضعه [3]!.

---

(١) النووي: مختصر طبقات الفقهاء، ص٢٨٤، السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، جـ٧، ص٦، الإسنوي: طبقات الشافعية، جـ١، ص٣٢٣، ابن قاضي شهبة: طبقات الشافعية، جـ١، ص٣٠٣، الداوودي: طبقات المفسرين، جـ٢، ص٢٥٩، ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، جـ٤، ص٢٩.

(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ١٩، ص٣٧٢-٣٧٣.

(٣) السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، جـ٧، ص٧، الداوودي: طبقات المفسّرين، جـ٢، ص٢٦٠-٢٦١.

وكان شقيقه " أبو محمد الحسن بن منصور السمعاني " ذا باع في العلوم الشرعية أيضًا ، فقد طلب الفقه ، وسمع الحديث من عدد من علماء عصره [(1)] ، كما كان شقيقهما الأصغر " أبو القاسم أحمد بن منصور السمعاني " من المهتمّين بالعلوم الشرعية ، فقد تفقّه على أخيه الأكبر " أبي بكر السمعاني " [(2)] ، وسمع منه الحديث [(3)] ، كما سافر إلى مدينة " نيسابور " في شهر شوّال سنة ٥٢٩هـ/ ١١٣٥م ، لدراسة الحديث النبوي الشريف ، حيث سمع هناك صحيح الإمام " مسلم " [(4)] .

ولـ " محمد بن أحمد بن منصور السمعاني " معرفةٌ بالحديث ، وجهودٌ في روايته لأهل العلم ، فقد ذكر " السبكي " في « طبقاته » أنّه « كان يروي الأحاديث مسندةً عن أبيه » [(5)] . كما كان لـ " أبي المظفر عبد الوهاب بن محمد بن منصور السمعاني " ، اهتمامٌ بطلب الحديث ، رغم صغر سنّه ، فقد ذكر شقيقه الإمام " أبو سعد السمعاني " أنّه سمع الحديث بنيسابور ، وسَرْخس [(6)] .

---

(١) السمعاني : الأنساب ، جـ٣ ، ص٣٠٠ ، السبكي : المصدر السابق ، جـ٧ ، ص٦٩ .

(٢) السمعاني : المصدر السابق ، جـ ٣ ، ص٣٠١ ، السبكي : المصدر السابق ، جـ٦ ، ص٦٥ .

(٣) السبكي : المصدر السابق ، جـ٦ ، ص٦٥ .

(٤) السمعاني : الأنساب ، جـ٣ ، ص٣٠١ .

(٥) السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، جـ٦ ، ص٨٧ .

(٦) السمعاني : التحبير في المعجم الكبير ، جـ١ ، ص٥٠٣ـ٥٠٤ .

وممّن عُني بالعلوم الشرعية من السمعانيّين أيضًا ، " أمة الله حرّة بنت محمد بن منصور السمعاني " - شقيقة الإمام " أبي سعد السمعاني " - فقد ذكر " أبو سعد " في « أنسابه » أنّها « كثيرة الدرس للقرآن » ، وأشار إلى أنّها ممّن حدّث من آل بيته ، وأنّه قرأ عليها بعض الأحاديث [1] .

وكان الحافظ " أبو سعد السمعاني " إمامًا عالمًا ، فقيهًا محدّثًا [2] وقد أقبل على دراسة القرآن والفقه والحديث منذ بلوغه [3] ، واجتهد في طلب علم الحديث كثيرًا ، وكانت جُلّ رحلاته العلمية من أجله ، ولذا أُتيح له أن يسمع الكثير منه في أثناء رحلاته ولقاءاته بالعلماء ، وقد أشار " ابن الأثير " إلى ذلك حينما قال - مُشيدًا به - : « وكان مكثرًا من سماع الحديث ، سافر في طلبه ، وسمع منه ما لم يسمعه غيره » [4] .

ونظرًا لتبحّره في العلوم الشرعية وفي غيرها ، وإفادته لأهل العلم في زمانه ، فقد اشتهر عند العلماء بألقاب كثيرة منها : « محدّث المشرق » [5] ، و « محدّث خراسان » [6] ، و « سيّد

---

(١) السمعاني : الأنساب ، جـ٣ ، ص٣٠١ .

(٢) الإسنوي : طبقات الشافعية ، جـ١ ، ص٣٣٧ ، ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، جـ٥ ، ص٣٥٨ .

(٣) الذهبي : تاريخ الإسلام ، حوادث ووفيات (٥٦١ - ٥٧٠ هـ) ، ص١٢٠ ، السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، جـ٧ ، ص١٨١ .

(٤) ابن الأثير : الكامل ، جـ١١ ، ص٣٣٣ .

(٥) الذهبي : العبر في خبر مَن غبر ، جـ ٣ ، ص٣٧ ، السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، جـ٧ ، ص١٨٠ .

(٦) الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ٢٠ ، ص٤٥٦ .

الحُفّاظ » [1] ، و « شيخ خراسان » [2] ، و « تاج الإسلام » ، و «الحافظ الكبير » [3] ، و « الإمام الشهير » [4] . وغيرها .

وكان " فخر الدين أبو المظفر عبد الرحيم بن عبد الكريم السمعاني " ، حريصًا منذ صغره على طلب العلوم الشرعية ، فقد سمع عددًا من أمّهات كتب السنة وغيرها ، مثل: « صحيح البخاري» و « صحيح مسلم » و « سنن أبي داود » و « سنن النسائي » و « مسند أبي عوانة » و « مسند الهيثم » و « حلية الأولياء » وغيرها [5] .

وقد نبغ في الحديث النبوي الشريف ، ووصفه الحافظ" الذهبي " بـ« الإمام العلاّمة المفتي المحدّث » [6] ، كما وصفه بـ« مسند خراسان » [7] ، ونظرًا لشهرته بمعرفة الحديث وعلومه ، فقد حدّث ببعض البلدان البعيدة ـ نسبيًا ـ عن بلدته ، حيث ذكرت بعض الروايات أنّه حجّ في سنة ٥٧٥هـ ـ وقيل ٥٧٦هـ ـ وفي طريقه حدّث ببغداد ، ثمّ رجع إلى موطنه [8] . كما تبحّر في الفقه ، وأضحى له في المذهب

---

(١) المصدر نفسه ، ج١٩ ، ص٣٧٢ .

(٢) ابن الأثير : اللباب في تهذيب الأنساب ، ج١ ، ص١٥ .

(٣) الذهبي : تاريخ الإسلام ، حوادث ووفيات (٥٦١ ـ ٥٧٠ هـ) ، ص١١٩ ، ابن قاضي شهبة : طبقات الشافعية ، ج١ ، ص٣٤٤ .

(٤) ابن قاضي شهبة : المصدر السابق ، ج١ ، ص٣٤٤ .

(٥) الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج٢٢ ، ص١٠٧ .

(٦) المصدر نفسه ، ج٢٢ ، ص١٠٧ .

(٧) الذهبي : العبر في خبر مَن غبر ، ج٣ ، ص١٧٤ .

(٨) الذهبي : تاريخ الإسلام ، حوادث ووفيات (٦١١ ـ ٦٢٠ هـ) ، ص٣٤٩ ، سير أعلام النبلاء ، ج٢٢ ، ص١٠٨ ، ابن الدمياطي : المستفاد من ذيل تاريخ بغداد ، ص١٥٧ .

الشافعي باعٌ طويلٌ ، شأنه في ذلك شأن عدد من آبائه وأجداده [1] .

وكان شقيقه " أبو زيد محمد بن عبد الكريم السمعاني " فقيهًا ، له معرفةٌ بالحديث النبوي الشريف [2] ، ولكنّه لم يبلغ ما بلغه أسلافه من السمعانيّين من نبوغ في العلوم الشرعية ، أو في العلوم الأخرى ، ولعلّ ارتباطه بالعمل في بلاط الخوارزميين - كما أشرنا من قبل - قد شغله - نسبيًا - عن الاهتمام بطلب العلم .

وهكذا كان لمعظم السمعانيّين جهودٌ مميّزةٌ في العناية بالعلوم الشرعية كالفقه وأصوله والحديث والتفسير ، وغيرها ، وقد حُظِيَ الفقه والحديث بنصيب الأسد من جهودهم ، وتبوّءا مكانةً عاليةً بين اهتماماتهم العلمية ، وهو أمرٌ طبيعيّ ، فقد كانا من أكثر العلوم انتشاراً بين أئمّة الدراسات الشرعية وطُلاّبها ، ليس في ذلك العصر فحسب ، بل في سائر العصور الإسلامية .

جهودهم في العناية باللغة والأدب :

وللسمعانيّين جهودٌ مهمّةٌ في العناية باللغة العربية والأدب والشعر ، وكانت ثُلّةٌ منهم على قدْر كبير من التبحّر في هذه العلوم ، ويجيء في مقدّمتهم الإمام " أبو منصور محمد بن عبد الجبار السمعاني" ، فقد ذكر عددٌ من المؤرّخين أنّه كان عالمًا بالعربية واللغة ، وصنّف فيها

(١) الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ٢٢ ، ص١٠٧ ، ابن قاضي شهبة : طبقات الشافعية ، جـ١ ، ص٣٨٩ .

(٢) الذهبي : تاريخ الإسلام ، حوادث ووفيات (٦١١ - ٦٢٠ هـ)، ص٣٧٥ .

التصانيف المفيدة [1] . كما كان له باعٌ في الأدب والشعر ، وقد ترجم له " أبو الحسن الباخرزي " في كتابه « دُمية القَصْر وعُصْرة أهل العصر » [2] ، وهو الكتاب الذي خصّصه لتراجم شعراء عصره ، وأطنب في الثناء عليه ، وساق بعضًا من أشعاره ، وذكر أنّه الْتقى به في مدينة " مرْو " في سنة ٤٤٤هـ ، في مجلس كان يضمّ جمعًا كبيرًا من علماء المدينة وأعيانها ، وفي ذلك المجلس ألْقى " الباخرزي " قصيدةً نالت إعجاب الإمام " أبي منصور السمعاني " حتى إنّه « صفّق بيديه » ، وامتدح " الباخرزيَّ " أمام الملأ نثرًا وشعرًا [3] .

وكان " أبو بكر محمد بن منصور السمعاني " علاّمةً في اللغة والنحو ، وقد عدّه " أبو الحسن القفطي " من أعلام النحاة ، حيث ترجم له في كتابه « إنباه الرواة على أنباه النحاة » ، وذكر أنه كان معتنيًا باللغة [4] . وممّا يدلّ على تبحّره في ميدان اللغة والنحو ، ما قاله الحافظ " أبو طاهر السِّلفي " في مدْحه :

وفي النحو الخليلُ بلا خلاف ... وفي حفْظ اللغات الأصمعي [5]

---

(١) السمعاني : الأنساب ، جـ٣ ، ص٢٩٨ ، ابن الأثير : اللباب ، جـ٢ ، ص١٣٨ ، القرشي : الجواهر المضية ، جـ٣ ، ص٢٠٦ ، ابن قُطلوبُغا : تاج التراجم ، تحقيق : محمد خير رمضان يوسف ، الطبعة الأولى ، دار القلم ، دمشق ، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م ، ص٣٤٠ .

(٢) الباخرزي : دمية القصر ، جـ٢ ، ص١٦٢ ـ ١٦٥ .

(٣) المصدر نفسه ، جـ٢ ، ص١٦٢ ـ ١٦٤ .

(٤) القفطي : إنباه الرواة على أنباه النحاة ، جـ٣ ، ص٢١٦ ـ ٢١٧ .

(٥) السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، جـ٧ ، ص٩ .

فشبّهه بمعرفته بعلم النحو بـ" الخليل بن أحمد الفراهيدي " ، أحد كبار أئمّة اللغة والنحو في البصرة ، والمتوفّى سنة ١٧٠ هـ/ ٧٨٦م[١] ، كما شبّهه بالعلاّمة " أبي سعيد الأصمعي " في حفظ اللغة ، وهو أيضًا من مشاهير علماء اللغة والأدب ، توفّي سنة ٢١٦ هـ/ ٨٣١ م [٢] .

وأشار " السبكي " إلى نبوغ الإمام " أبي بكر السمعاني " في اللغة ، حيث ذكر أنّه اطّلع على مجالس إملائه ، واستدلّ منها على علوّ شأنه في عدد من العلوم ومن بينها اللغة [٣] .

وممّا يدلّ أيضًا على معرفته الواسعة باللغة ما ذكرتْه بعض الروايات من أنّ والده الإمام " أبا المظفّر السمعاني " كان إذا سُئل عن شيء يتعلّق ببعض مسائلها قال: « سَلُوا ابني محمّدًا ، فإنّه أعرف باللغة منّي » [٤] ، مع أنّه حينذاك لمّا يزل في سنٍّ مبكّرة ، لأنّه وُلد في سنة ٤٦٦ هـ ، أو في سنة ٤٦٧هـ - كما ذكرنا من قبل - ووالده توفّي سنة ٤٨٩ هـ ، أي أنّه لمّا توفّي أبوه لم يكن قد بلغ الثالثة والعشرين من عمره .

---

(١) انظر ترجمة " الخليل بن أحمد الفراهيدي " في: (ابن خلّكان: وفيات الأعيان ، جـ٢ ، ص٢٤٤ - ٢٤٨) .

(٢) انظر ترجمة " الأصمعي " في: (ابن خلّكان : المصدر السابق ، جـ٣ ، ص١٧٠ - ١٧٦).

(٣) السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، جـ٧ ، ص٧ .

(٤) المصدر نفسه ، جـ٧ ، ص٨ .

وكـان " أبو بكر السـمـعـاني " أيضًـا بارعًـا في الأدب وفنونه [1] ، فـقـد أشـارت بعض الروايات إلى أنّه حُظِي من الأدب والعـربيـة ، وبرع فـيـهـمـا حـتى بلغ أعلى المراتب[2] . وكـان « ينظم من مـعـاني كـلامـه عقود الدرّ ، متصرّفًا في الفنون بما يشاء ، كيف يشاء » [3] .

كـمـا كـان شـاعـرًا ، له قـصـائد كثيـرة[4] ، في مـخـتلف فنون الشـعـر وأغـراضـه ، وقـد أثنى بعض العلمـاء على شعـره ، فـوصـفـه " ابن الأثيـر " بقـولـه : « وله شِـعـرٌ حـسنٌ » [5] . ومـدحـه الحـافظ " أبو طاهر السِّلفي " بقوله :

وجاحظ عصره في النثر صِدقًا   وفي وقت التشاعر بُحتري [6]

---

(١) الذهبي : العبـر في خبـر من غبـر ، جـ٢ ، ص٣٩٦ ، تذكـرة الحـفـاظ ، جـ ٤ ، ص١٢٦٨ ، الصـفـدي : الوافي بالوفـيـات ، جـ٥ ، ص٧٥ ، ابن العـمـاد الحنبلي : شذرات الذهب ، جـ٤ ، ص٢٩ .

(٢) ابن الصـلاح : طبـقـات الفـقـهـاء الشـافـعـيـة ، جـ١ ، ص٢٧٤ ـ ٢٧٥ ، السـبكي : طبـقات الشـافعـيـة الكبـرى ، جـ٧ ، ص٦ ، ابن قـاضي شـهـبة : طبـقـات الشـافعـيـة ، جـ١ ، ص٣٠٣ ، الداوودي : طبـقـات المفـسـرين ، جـ٢ ، ص٢٥٩ ، ابن العـمـاد الحنبلي : شذرات الذهب ، جـ٤ ، ص٢٩ .

(٣) النووي : مختصر طبقات الفقهاء ، ص٢٨٤ .

(٤) ابن الجـوزي : المنتظم ، جـ١٧ ، ص١٥٠ ، السـبكي : طبـقـات الشـافـعـيـة الكـبـرى، جـ٧ ، ص٨ ، ابن قـاضي شـهـبـة : طبـقـات الشـافـعـيـة ، جـ١ ، ص٣٠٣ .

(٥) اللباب في تهذيب الأنساب ، جـ١ ، ص١٣ .

(٦) السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، جـ٧ ، ص٩ .

فشبّهه بالعلاّمة الشهير " عمرو بن بحر الجاحظ " ، المتوفّى سنة ٢٥٥هـ/ ٨٦٩م [١] ، والمعروف بعلوّ كعبه في ميدان الأدب والنثر ، وطول باعه في الفصاحة والبيان ، كما شبّهه في شاعريّته بالشاعر العبّاسي المشهور " البحتري " ، المتوفّى سنة ٢٨٤هـ/ ٨٩٨م [٢] .

ولكنّ كثيرًا من أشعاره التي قالها في مراحل مختلفة من حياته لم تُحفظ ، بل إنّه أزال ما دوّنه منها قبل وفاته ، ولم يبق منه إلاّ اليسير [٣] ، وما حفظه الناس عنه ، وما كانوا يردّدونه على ألسنتهم [٤] ويبدو أنه صنع ذلك تورّعًا ، أو أنّ في أشعاره أمورًا وأقوالاً رجع عنها ويُحكى أنّ رجلاً كتب إليه رقعةً وفيها أبياتٌ من الشعر ، وأراد جوابها ، فردّ عليه " أبو بكر السمعاني " بقوله : « أمّا الأبيات فقد أسلم شيطانُ شِعري ، فلا جواب لها » [٥] ! .

ومن شعره قوله :

أقلي النهارَ إذا أضاء صباحه ... وأظلّ أنتظر الظلام الدامسا

---

(١) انظر ترجمة " الجاحظ " في: (ابن خلّكان: وفيات الأعيان ، جـ٣ ، ص٤٧٠-٤٧٥) .

(٢) انظر ترجمة " البحتري " في: (ابن خلّكان: المصدر السابق ، جـ ٦ ، ص٢١-٣١) .

(٣) ابن الجوزي : المنتظم ، جـ١٧ ، ص١٥٠ ، السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، جـ٧ ، ص٧ ، ابن قاضي شهبة : طبقات الشافعية ، جـ١ ، ص٣٠٣ ، الداوودي : طبقات المفسّرين ، جـ٢ ، ص٢٦١ .

(٤) الإسنوي : طبقات الشافعية ، جـ ١ ، ص٣٢٣ ، ابن قاضي شهبة : طبقات الشافعية ، جـ ١ ، ص٣٠٣ ، ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب ، جـ ٤ ، ص٣٠ .

(٥) السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، جـ٧ ، ص٨ ، الداوودي : طبقات المفسّرين ، جـ٢ ، ص٢٦١ .

فالصبح يشمتُ بي فيُقبل ضاحكاً   والليل يرثي لي فيُدبر عابسا [1]

وله أشعارٌ أخرى كثيرة ، ذكر " السبكي " طرفًا منها في «طبقاته»[2] .

ولم يكن " أبو بكر السمعاني " هو الأوحد الذي ينظم الشعر من بين السمعانيين ، بل كان من أبناء أسرته مَن هو شاعرٌ أيضًا ، ومنهم أخوه " أبو القاسم أحمد بن منصور السمعاني " ، فقد ذكر الإمام " أبو سعد السمعاني " أنّه كان « شاعرًا حسن الشعر »[3] . كما كان ابنه " محمّد بن أحمد بن منصور السمعاني " يقول الشعر أيضًا ، وقد ساق " السبكي " في « طبقاته » بعضًا من أشعاره في الغزل[4] .

وكان " أبو منصور محمد بن الحسن بن منصور السمعاني" «عالماً باللغة والنظم والنثر »[5] . كما كان أديبًا شاعرًا ، ينظم الشعر باللغتين العربية والفارسية[6] . قال عنه ابن عمّه الحافظ" أبو سعد السمعاني : " « . . كان شابًا فاضلاً ظريفًا ، قرأ الأدب وبرع فيه ، وكانت له يدٌ باسطةٌ في الشعر باللسانين » ، وذكرَ أنّه سمع من شعره الكثير[7] . وأثنى على شعره بكلتا اللغتين ، فذكر أنّه كان « حسن الشعر باللسانين العربية والعجميّة »[8] .

---

(١) السبكي : المصدر السابق ، جـ٧ ، ص٨ ، الداوودي : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص٢٦١ .

(٢) السبكي : المصدر السابق ، جـ٧ ، ص٨ ـ ١٠ .

(٣) السمعاني : الأنساب ، جـ٣ ، ص٣٠١ .

(٤) السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، جـ٦ ، ص٨٧ .

(٥) السمعاني : التحبير ، جـ٢ ، ص١١٢ .

(٦) المصدر نفسه ، جـ٢ ، ص١١٢ .

(٧) السمعاني : الأنساب ، جـ٣ ، ص٣٠١ .

(٨) السمعاني : التحبير ، جـ٢ ، ص١١٢ .

ولأبي المظفر عبد الوهاب بن محمد بن منصور السمعاني - الأخ الأكبر للإمام أبي سعد السمعاني - اهتمامٌ بالأدب وعنايةٌ به [(١)] ، وقد ذكر شقيقه " أبو سعد " أنه سمع منه شيئًا يسيرًا من الشعر [(٢)] .

كما كان الإمام" أبو سعد السمعاني " أيضًا أديبًا محبًا للشعر متذوقًا له . . وقد ذكرت بعض الروايات أنّه عُني بالاشتغال بالأدب في أيّام الطّلب « حتّى حصّل منه طرفًا صالحًا » [(٣)] ، كما أشارت رواياتٌ أخرى إلى أنّه كان يُكثر إنشاد الشعْر [(٤)] في مجالسه ، وقد أورد في مصنّفاته آلافًا من الأبيات ، أفاد منها بعض العلماء والأدباء في عصره وفي العصور اللاحقة ، ولا سيّما في كتابيه « الأنساب » ، و «التحبير» .

وكان ابنه الأكبر " أبو المظفّر عبد الرحيم السمعاني" من المهتمّين بالأدب ، فقد ذكرت بعض الروايات أنّ والده الإمام " أبا سعد " وجّهه لدراسته وطلبه ، إلى جانب طلبه للعلوم الشرعية ، وقد نال من الأدب حظًّا وافرًا ، مثلما حُظِيَ من الفقه والحديث[(٥)] .

---

(١) المصدر نفسه ، جـ١ ، ص٥٠٣-٥٠٤ .

(٢) المصدر نفسه ، جـ١ ، ص٥٠٤ .

(٣) ابن الدمياطي : المستفاد من ذيل تاريخ بغداد ، ص١٧٢ .

(٤) الذهبي : تاريخ الإسلام ، حوادث ووفيات (٥٦١ - ٥٧٠ هـ) ، ص١٢١ ، سير أعلام النبلاء ، جـ٢٠ ، ص٤٦٢ ، الإسنوي : طبقات الشافعية ، جـ١ ، ص٣٣٧ .

(٥) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ٣ ، ص٢١٢ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء، جـ٢٢ ، ص١٠٧ .

وهكذا عُني السمعانيّون باللغة العربية وآدابها ، وحافظوا على أمجادها ، رغم أنّهم عاشوا في بيئة وزمن هبّتْ فيهما رياح لغة أخرى ، ألا وهي اللغة الفارسيّة ، ذلك أنّ إقليم خراسان شهد في عصر السلاجقة - وهو العصر الذي اشتهر فيه السمعانيّون - إحياء اللغة الفارسيّة من جديد ، بل وسرعة نموّها وانتشارها في أقاليم أخرى عديدة من بلاد المشرق الإسلامي ، بتشجيع من زعماء السلاجقة .

لقد كانت العربية هي اللغة السائدة في بلاد المشرق الإسلامي قبل عهد السلاجقة ، ولكنّ الفارسيّة أضحت اللغة الرسمية في المناطق التي خضعت لنفوذهم ، ومن ثمّ قاد ذلك إلى انتشارها لتغدو - إلى جانب اللغة العربية - لغةً للآداب والعلوم ، سيّما وأنّها حظيتْ بتشجيع سلاطين السلاجقة ودعمهم [1] .

ومع أن بعض السمعانيّين كان يُتقن اللغة الفارسيّة ، مثل " أبي منصور محمد بن الحسن السمعاني " الذي كان ينظم الشعر باللغتين العربية والفارسية [2] ، و " محمد بن أحمد بن منصور السمعاني " الذي أشارت بعض الروايات إلى أنّه خطب على المنبر في بلاد " خوارزم " بالفارسية [3] ، ومع ما شهده عصرهم من إحياء لتلك اللغة في بلاد المشرق الإسلامي - كما ذكرنا - مع ذلك كلّه لم يكن للّغة الفارسيّة أيّ أثر على أوجه النشاط العلمي للسمعانيّين ، بل كان جُلّهم

---

(١) انظر : أحمد كمال الدين حلمي : السلاجقة في التاريخ والحضارة ، ص ٢٥٠ - ٢٥١ .
(٢) السمعاني : التحبير ، جـ٢ ، ص١١٢ .
(٣) انظر : السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، جـ ٦ ، ص٨٧ .

يُدرّس ويناظر ويَعظ ويُفتي ويُحدّث ويُصنّف باللغة العربية فحسْب ، ولم يُذكر أنّ أَحدًا من كبارهم ، كالإمام " أبي المظفّر منصور السمعاني " ، أو الإمام " أبي بكر السمعاني " ، أو الحافظ " أبي سعد السمعاني " ، أو العلاّمة " عبد الرحيم السمعاني " ، كان له نشاطٌ علميٌّ بلغةٍ أخرى . .

جهودهم في العناية بالتاريخ والتراجم والأنساب والجغرافيا :

وإلى جانب تلك الجهود الكبيرة التي بذلها السمعانيّون في العناية بالعلوم الشرعية واللغة والأدب ، كانت لهم أيضًا جهودٌ مميَّزةٌ أخرى في العناية بعلوم التاريخ والتراجم والأنساب والجغرافيا . . فقد كان " أبو بكر محمد بن منصور السمعاني " بارعًا في معرفة الرجال ، محيطًا بالتواريخ [1] ، وممّا يدلّ على اهتمامه بعلم التاريخ ما ذكرتْه بعض الروايات من أنّه لمّا رحل في طلب العلم إلى بغداد في سنة ٤٩٧ هـ ، قرأ « تاريخ بغداد » ، للخطيب البغدادي ، على أحد علمائها الذين رووه عن " الخطيب " نفسه ، وهو " أبو محمد بن الآبنوسي " [2] .

---

(١) النووي : مختصر طبقات الفقهاء ، ص٢٨٤ ، الذهبي : تاريخ الإسلام ، حوادث ووفيات (٥٠١ - ٥١٠ هـ) ، ص٢٦٠ ، تذكرة الحفاظ ، جـ ٤ ، ص١٢٦٨ ، الصفدي : الوافي بالوفيات ، جـ٥ ، ص٧٥ ، السيوطي : طبقات الحُفّاظ ، ص٤٦٠ ، ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ، جـ٤ ، ص٢٩ .

(٢) الذهبي : تاريخ الإسلام ، حوادث ووفيات (٥٠١ - ٥١٠ هـ) ، ص٢٦٠ ، سير أعلام النبلاء ، جـ١٩ ، ص٣٧٢ .

وفضلاً عن معرفته واهتمامه بالتاريخ والتراجم ، فقد كانت لـ " أبي بكر السمعاني " أيضًا عنايةٌ بعلم الأنساب ، حيث أشارت بعض المصادر التاريخية إلى أنّ الأنساب من بين العلوم التي كان محيطًا بها [1] .

وكان الإمام " أبو سعد السمعاني " مؤرّخًا عارفًا بتراجم الرجال ، وممّا يدلّ على عنايته بالتاريخ أنّه صنّف فيه أكثر من كتاب ، فقد أرّخ لمدينته وموطن آبائه وأجداده « مرْو » في كتاب سمّاه « تاريخ مرْو » ، كما ذيّل على « تاريخ بغداد » ، للخطيب البغدادي [2] ، هذا فضلاً عن اهتمامه بحوادث التاريخ بصفة عامّة ، ويتجلّى ذلك من خلال ما دوّنه في بعض آثاره العلمية القيّمة ، ولاسيّما في كتابَيه « الأنساب » و« التحبير » ، فقد ذكر فيهما روايات تاريخية كثيرة ، تُبْرز مدى تبحّره في علم التاريخ ، كما أورد فيهما تراجم آلاف من العلماء والأعيان .

كما كان الإمام " أبو سعد السمعاني " علاّمة في الأنساب ، عارفًا بأصول القبائل وبطونها ، ومَن يُنسب إليها من العلماء والأعيان ، ويقف كتابه « الأنساب » برهانًا واضحًا على تبحّره في هذا الميدان ، وقد أضحى " السمعاني " مرجعًا لعلماء عصره ولمن جاء بعدهم من العلماء في ميدان الأنساب ، وصارت أقواله وآراؤه وترجيحاته حجّة يَستشهدون بها عند الخوض في هذا الجانب .

---

(١) النووي : مختصر طبقات الفقهاء ، ص٢٨٤ ، الذهبي : تاريخ الإسلام ، حوادث ووفيات (٥٠١ - ٥١٠ هـ) ، ص٢٦٠ ، تذكرة الحفاظ ، جـ ٤ ، ص١٢٦٨ ، العبر في خبر من غبر ، جـ٢ ، ص٣٩٦ ، الصفدي : الوافي بالوفيات ، جـ٥ ، ص٧٥ ، السيوطي : طبقات الحُفّاظ ، ص٤٦٠ ، ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ، جـ٤ ، ص٢٩ .

(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ٣ ، ص٢١٠ .

وكان لبعض السمعانيّين - ولا سيّما الإمام " أبو سعد السمعاني " وابنه " أبو المظفّر عبد الرحيم " - عنايةٌ بعلم الجغرافيا واهتمامٌ به . . لقد كان " أبو سعد " حجّةً في معرفة البلدان والمواضع الجغرافيّة ، ويتجلّى ذلك من خلال النظر في كتابه « الأنساب » ، فقد ذكر في ثناياه آلافًا من المدن والقرى ، وحدّد مواضعها ، وصارت أقواله مرجعًا للعديد من البلدانيّين والمهتمّين بجغرافية البلاد الإسلامية ، وكان في مقدّمتهم العلاّمة " ياقوت الحموي " الذي عوّل في مصنَّفه العظيم « معجم البلدان » على الكثير من أقوال " أبي سعد السمعاني " ، وأفاد منه في التعريف بالبلدان وتحديد أماكنها ، في كثير من المواضع في كتابه [1] .

وممّا لا شكّ فيه أنّ رحلات الإمام " أبي سعد السمعاني " الواسعة لطلب العلم ، ومروره بالكثير من المدن والقرى ، قد أسهم إلى حدٍّ بعيد في تبحّره في الميدان الجغرافي ومعرفته بالكثير من المواضع ، ولاسيّما في منطقة المشرق الإسلامي ، حيث كان يكثر التنقّل بين بلدانها ، ويجوب سائر أنحائها ، ويختلف إلى كثير من مدنها وقراها ، ولذا نلاحظ أنّ أكثر المواقع البلدانية التي اعتمد " ياقوت " على " السمعاني " في تِبْيانها تقع ضمن الإطار الجغرافي لمنطقة المشرق الإسلامي .

---

(1) انظر - على سبيل المثال - : ياقوت : معجم البلدان ، ج١ ، ص٦٩ ، ١٤٥ ، ١٥٨ ، ٢٠٦ ، جـ٢ ، ص٢٦ ، ٢٧ ، ١٦٦ ، ١٩١ ، ١٩٢ ، ٢١٦ ، ٢٢٣ ، ٢٥٧ ، ٢٧٨ ، ٣٣٨ جـ٣ ، ص١٤٠ ، ١٥٠ ، ١٥٩ ، ١٦٦ ، ١٩٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٤٩ ، ٢٥٣ ، ٣٠٥ جـ٤ ، ص١٢ ، ٢٠ ، ٢٨ ، ٥٠ ، ٢٢٤ ، ٢٣١ ، ٢٦٨ ، ٣٧٠ ، جـ٥ ، ص٣٤ ، ٤١ ، ٥٠ ، ٧٨ ، ٢٣٣ ، ٢٩٥ ، ٣١١ ، ٤٢٠ .

وقد أشاد بعض المستشرقين بجهود الإمام" أبي سعد السمعاني " وأثره في ميدان الأدب الجغرافي العربي ، وما تحويه آثاره العلمية - وبخاصّة كتابه « الأنساب » - من قيمة جغرافيّة ، ومن هؤلاء المستشرقين " بارتولد " ، الذي ذكر أنّ « كتابَ السمعاني يُمثّل أهمّيةً كبرى بالنسبة لجغرافيا العالم الإسلامي في العصور الوسيطة »(١) ، و" كراتشكو فسكي " الذي أشار أيضًا إلى القيمة الكبرى للمعلومات الجغرافية التي أوردها " السمعاني " في كتابه ، وما تميّز به من ضبط للمواضع الجغرافية والتعريف بها تعريفًا دقيقًا ، وأكّد أنّ كتابَ «الأنساب» سيبقى مُحتفظًا على الدوام بقيمته فيما يتعلّق بالمسائل التاريخية والجغرافية المرتبطة ببلاد ما وراء النهر (٢) .

وورث " أبو المظفّر عبد الرحيم بن عبد الكريم السمعاني " عن أبيه الإمام " أبي سعد " بعضًا من اهتماماته وعنايته بالجغرافيا ، وثمّة شواهد مهمّة تُبرز ذلك ، بل وتدلّ على أنّ" عبد الرحيم السمعاني " أسهم في إفادة بعض علماء عصره في الميدان الجغرافي ، فقد أشار العلاّمة " ابن العديم " صاحب كتاب « بُغية الطلب في تاريخ حلب» ، المتوفّى سنة ٦٦٠ هـ/ ١٢٦٢ م ، في مواضع عديدة من كتابه إلى أنّ" أبا المظفّر عبد الرحيم السمعاني " أفاده بمعلومات جغرافية تتعلّق ببعض

---

(١) بارتولد : تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي ، ترجمه من الروسيّة إلى العربية ، صلاح الدين عثمان هاشم ، الكويت ،١٤٠١ هـ١٩٨١ / م ، ص١٠٤ .

(٢) كراتشكوفسكي : تاريخ الأدب الجغرافي العربي ، ص٣٤٣-٣٤٥ .

مدن الشام وما حولها ، وقد ذكر الإمام" عبد الرحيم السمعاني " لابن العديم ، أنّ معلوماته الجغرافية تلك رواها عن أبيه الحافظ" أبي سعد السمعاني " [1] .

جهودهم في ميدان التعليم :

وللسمعانيّين جهودٌ بيّنةٌ في ميدان التعليم ، ولا غَرْو فقد كان أكثرهم من أهل العلم ، والعلم والتعليم صنوان لاينفكّان عن بعضهما . وقد ذكرت بعض المصادر التاريخية أنّ عدداً منهم تصدّر للتدريس في المساجد والمدارس ، وتتلمذ عليهم عددٌ كبيرٌ من طلاّب العلم ، وبخاصّة في مدينة" مرو " ، حاضرة إقليم خراسان . وكانت لهم جهودٌ مهمّة في رواية العلم ونشره بين الناس ، وقد أتاح هذا الأمرُ المجالَ لكثير من العلماء المعاصرين لهم لكي يرووا عنهم ويفيدوا من علمهم . .

ولعلّ أوّل مَن تصدّر للتدريس من السمعانيّين ، هو الإمام" أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني" ، فقد كانت له دروسٌ علميةٌ ، أملى فيها « المجالس في الحديث ، وتكلّم على كلّ حديث بكلام مفيد » [2] ، وبلغت مجالس إملائه تسعين مجلساً [3] .

---

(١) انظر : ابن العديم : بغية الطلب في تاريخ حلب ، تحقيق د . سهيل زكّار ، دار الفكر ، بيروت ، جـ١ ، ص١٠٦ ، ١١٥ ، ٢٥٢ .

(٢) السمعاني : الأنساب ، جـ٣ ، ص٢٩٩ .

(٣) الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ١٩ ، ص١١٧ .

ولم تقتصر جهوده في ميدان التعليم على التدريس في المساجد فقط ، بل كان يقوم بالتدريس في بعض المدارس أيضًا ، حيث تذكر بعض الروايات أنّه تولّى التدريس في مدرسة الشافعية بمدينة " مرْو " [1] .

ونظرًا لما كان يحظى به الإمام " أبو المظفّر السمعاني " من شهرة بين علماء عصره ، ولنبوغه في كثير من العلوم ، وبخاصة الفقه والحديث ، فقد انتشرتْ عنه رواية العلم ، وكَثُر أصحابه وتلامذته ، وشاع ذِكْره [2] ، وروى عنه عددٌ من العلماء [3] .

ولم يكن اهتمامه بالتعليم وإفادة الناس محصورًا في موطنه مدينة " مرْو " فقط ، بل شمل بلادًا أخرى في المشرق ، فقد ذكرتْ بعض الروايات أنّه سار إلى مدينة " نيسابور " في إحدى السنوات ، وحضر مجلس المناظرة ، وتحدّث في بعض مسائل العلم ، بحضور بعض العلماء ، فنال إعجابهم ، وحظيَ بثنائهم [4] . وفي سنة ٤٦١ هـ/ ١٠٦٩ م زار مدينة بغداد ، وجرت بينه وبين جمْع من علمائها مناظرات ومحاورات في بعض الأمور العلمية ، أجاد في الكلام [5] .

---

(١) الرافعي : التدوين في أخبار قزوين ، جـ٤ ، ص١١٩ ، الصريفيني : المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور ، ص٤٤٣ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ١٩ ، ص١١٦ ، السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، جـ٥ ، ص٣٤٤ ، ابن قاضي شهبة : طبقات الشافعيّة ، جـ١ ، ص٢٨١ .

(٢) السمعاني : الأنساب ، جـ٣ ، ص٢٩٩ .

(٣) الذهبي : تاريخ الإسلام ، حوادث ووفيات (٤٨١ ـ ٤٩٠ هـ) ص٣٢٢ ، سير أعلام النبلاء ، جـ ١٩ ، ١١٥ ، السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، جـ ٥ ، ص٣٣٦ .

(٤) الصريفيني : المنتخب من السياق ، ص٤٤٢ ـ ٤٤٣ .

(٥) السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، جـ٥ ، ص٣٣٦ .

وكان للعلاّمة " أبي بكر محمد بن منصور السمعاني " جهودٌ قيّمةٌ في ميدان التعليم ، فقد درّس في بعض مساجد" مرْو " ، وكانت تدور بينه وبين بعض طلاّب العلم الذين كانوا يحضرون دروسه ومجالس علمه محاوراتٌ في بعض المسائل العلمية[1] . ومن الطبيعي أن تكون لهذه المحاورات آثارها الإيجابية ، إذْ إنّها تُسهم - بلا شكّ - في إثراء الدروس العلمية ، وتُكْسبها المزيد من العمْق والفائدة .

وفي أثناء دروسه التي كان يُلقيها في جامع مدينة" مرْو " أملى على طلاّبه « مائة وأربعين مجلسًا » [2] ، قال عنها الحافظ " أبو سعد السمعاني : " « مَن طالعها عرف أنّ أحدًا لم يسبقه إلى مثلها » [3] ، واطّلع " ابن الجوزي " على بعضها وأثنى عليها [4] ، كما امتدحها المؤرّخ " ابن الأثير " ووصفها بأنّها « كثيرة الفوائد » [5] ، وذكر الإمام " النووي " أنّها تقع « في مجلّدات ثلاث . . . . تكلّم فيها على إسناد الحديث تبيينًا لما يستحقّه من وصْف الصحّة وغيره . . . . وعلى رواته ببيان أحوالهم ، وما يُستحسن من حكاياتهم ، وعلى متن الحديث بإبانة فقهه ، كثير الرواية لما يشهد من الآثار والأخبار » [6] .

---

(١) انظر : السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، جـ٧ ، ص٧ .

(٢) ابن الجوزي : المنتظم ، جـ١٧ ، ص١٥٠ ، ابن عبد الهادي الدمشقي : طبقات علماء الحديث ، جـ ٤ ، ص٤٠ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ ١٩ ، ص٣٧٢ ، السيوطي : طبقات الحُفّاظ ، ص٤٥٩ .

(٣) السمعاني : الأنساب ، جـ٣ ، ص٣٠٠ .

(٤) ابن الجوزي : المنتظم ، جـ١٧ ، ص١٥٠ .

(٥) ابن الأثير : اللباب ، جـ٢ ، ص١٣٩ .

(٦) النووي : مختصر طبقات الفقهاء ، ص٢٨٢ .

وهكذا كان " أبو بكر السمعاني " حريصًا على نشر العلم ، وإفادة الناس ، وقفَ أوقاته وأيّامه من أجل ذلك ، مستغنيًا بالكفاف ، زاهدًا في الدنيا ، « قاصرًا همّه وأيّامه على الإفادة ، ونشر العلم »[1] وقد تلقّى العلم على يديه عددٌ من العلماء ، منهم شقيقه الأصغر " أبو القاسم أحمد بن منصور السمعاني " [2] ، والعلاّمة الحافظ " أبو طاهر السِّلفي " [3] ـ الذي امتدحه بأبياتٍ من الشعر ، وشبّهه بعددٍ من جهابذة العلم والأدب ، كما سبق .

ولأبي محمد الحسن بن منصور السمعاني جهودٌ في ميدان التعليم وكان طلاّبه يقرأون عليه أمّهات الكتب ، ومنهم ابن أخيه الحافظ " أبو سعد السمعاني " ، فقد ذكر أنّه سمع منه الكثير ، وقرأ عليه كتاب «الجامع » لمعمر بن راشد ، وكتاب « التاريخ » لأحمد بن سيّار ، وكتب « الأمالي » و « الانتصار » و « الأحاديث الألف » ، لجدّه " أبي المظفّر السمعاني " ، وغيرها من المصنّفات [4] .

وتصدّر الإمام " أبو سعد السمعاني " للتدريس في المدرسة " العَميْديّة " في مدينة " مرْو "[5] ، وهي مدرسة شيّدها " محمد بن منصورَ النسوي " ، المتوفّى سنة ٤٩٤ هـ/١١٠١م ، والمعروف بـ «عميد

---

(١) المصدر نفسه ، جـ٧ ، ص٧.

(٢) االسمعاني : الأنساب ، جـ٣ ، ص٣٠١ ، السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، جـ٦ ، ص٦٥ .

(٣) الذهبي : سيَر أعلام النبلاء ، جـ١٩ ، ص٣٧٣ .

(٤) السمعاني : الأنساب ، جـ٣ ، ص٣٠٠ - ٣٠١ .

(٥) الذهبي : تاريخ الإسلام ، حوادث ووفيات (٥٦١ ـ ٥٧٠ هـ) ، ص١٢١ ، السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، جـ٧ ، ص١٨٢ .

خـراسـان » [1] . ويُفـهـم من رواية ذكـرها الإمـام" الذهبي " أنّ " أبا سعد السمعاني " تفرّغ للتدريس بعد ما انتهت رحلاته في طلب العلم واستقرّ في مدينته التي نشأ فيها وترعرع (مدينة مرْو) [2] .

ولم تقتصر جهود الحافظ " أبي سعد " في ميدان التعليم وإفادة الناس ونشر العلم بينهم ، على مدينة" مـرْو " فحسْب ، بل شملتْ بلادًا أخرى أيضًا ، فقد أشارت بعض الروايات إلى أنّه حدّث في العديد من المدن ، ومنهـا " بلْخ " و " هَرَاة " [3] . وسمع منه وروى عنه كثيرٌ من علماء عصره ، وممّن سمع منه بعض مشايخه وأقرانه ، كما حدّث عنه جماعةٌ من علماء خراسان وبغداد ، وغيرهم [4] .

وفي إقليم " كرمان " كان " أبو القاسم علي بن محمد بن عبد الجبّار السمعاني " يتولّى التدريس في بعض مدارسها ، وكان ابنه" أبو العلاء علي بن علي السمعاني " قد رحل من إقليم" كرمان " إلى مدينة " مرو " في خراسان ؛ لطلب العلم فيها ، ثمّ عاد إلى " كرمان " ، وبعد وفاة والده قام مقامه في التدريس في تلك البلاد [5] .

---

(١) ابن الجوزي : المنتظم ، جـ١٧ ، ص٧٢ .

(٢) الذهبي : تاريخ الإسلام ، حوادث ووفيات (٥٦١ ـ ٥٧٠ هـ) ، ص١٢١ .

(٣) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، جـ٥ ، ص٣٥٨ .

(٤) الذهبي : تاريخ الإسلام ، حوادث ووفيات (٥٦١ ـ ٥٧٠ هـ) ، ص١٢١ .

(٥) السمعاني : الأنساب ، جـ٣ ، ص٢٩٨ ـ ٢٩٩ .

وكان " أبو المظفر عبد الرحيم بن عبد الكريم السمعاني" « محبًا لرواية العلم »[1] ونشره بين الناس . روى الكثير ، ورحل طلاّب العلم إليه[2] . وقد روى عددًا من أمّهات الكتب ، مثل: « صحيح البخاري » ، و « مسند الحافظ أبي عوانة » ، و « سنن أبي داود » ، و « مسند الهيثم بن كليب » ، وغيرها[3] . وكان حريصًا على نشر العلم ليس في بلده فحسْب ، بل وفي بعض البلدان الأخرى ، فقد ذكرت بعض الروايات أنّه حدّث في مدينة" بغداد " ، وسمع منه عددٌ من العلماء[4] .

وتتلمذ على العلاّمة " أبي المظفر عبد الرحيم السمعاني" عددٌ من طلاب العلم ، وسمع منه غير واحد من العلماء والحفّاظ الذين يُشار إليهم بالبنان ، ومنهم الحافظ" ابن النّجّار البغدادي " ـ المتوفّى سنة ٦٤٣هـ/ ١٢٤٥ م ـ والذي أشار إلى أنه الْتقى به في مدينة" مرْو " في أولى رحلاته إلى إقليم خراسان ، وسمع منه الكثير ، وأثنى على علمه وخُلُقه[5] ، وتتلمذ عليه من العلماء المشاهير أيضًا ، الحافظ " البرزالي " ، والعلاّمة " ضياء الدين المقدسي " ، و الإمام " تقيّ

(١) ابن الدمياطي : المستفاد من ذيل تاريخ بغداد ، ص١٥٧ .

(٢) الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ٢٢ ، ص١٠٨ .

(٣) الذهبي : العبر في خبر مَن غبر ، جـ٣ ، ص١٧٤ .

(٤) الذهبي : تاريخ الإسلام ، حوادث ووفيات (٦١١ ـ ٦٢٠ هـ) ، ص٣٤٩ ، سير أعلام النبلاء ، جـ ٢٢ ، ص١٠٨ ، ابن الدمياطي : المستفاد من ذيل تاريخ بغداد ، ص١٥٧ .

(٥) ابن الدمياطي : المصدر السابق ، ص١٥٧ .

الدين ابن الصلاح " ، وغيرهم [1] .

ومّما يدلّ على سعة جهود الإمام" عبد الرحيم السمعاني " في رواية العلم ، وإسهامه في نشره ، ما ذكره الحافظ" الذهبي " ـ عند إشارته لوفاته ـ من أنّه « انقطع بموته شيءٌ كثيرٌ من المرويّات » [2] .

وكان لأخيه " أبي زيد محمد بن عبد الكريم السمعاني" بعض الجهود في نشْر العلم ، وإفادة الناس ، فقد أشارت بعض الروايات إلى أنّه قدم بغداد في سنة ٦٠١ هـ/ ١٢٠٤ م ، وحدّث بها [3] .

ولم تقتصر جهود السمعانيّين في ميدان التعليم وإفادة الناس ـ ولا سيّما في المساجد ـ على الدروس والإملاء فقط ، بل كانت تشتمل على الوعظ والتذكير أيضًا ، وكان من الطبيعي أن يتخلّل مجالس الوعظ والتذكير ، كثيرٌ من الاستشهادات ، من الآيات القرآنية والأحاديث النبويّة و الأخبار والأشعار وغيرها ، ممّا يُسهم في إفادة الدارسين ، ويُنمّي مداركهم العلميّة والفكريّة . .

وقد اشتهر عددٌ من السمعانيّين بطول باعهم في الوعظ والتذكير ، فقد ذكرت بعض الروايات أنّ الإمام " أبا منصور محمد بن عبد الجبّار السمعاني " كان بارعًا في ميدان الوعظ ، مؤثّرًا في السامعين . وقد

---

(١) الذهبي : تاريخ الإسلام ، حوادث ووفيات (٦١١ ـ ٦٢٠ هـ)، ص٣٤٩ ، سير أعلام النبلاء ، جـ٢٢ ، ص١٠٨ ، ابن قاضي شهبة : طبقات الشافعية ، جـ١ ، ص٣٨٨ .

(٢) الذهبي : تاريخ الإسلام ، حوادث ووفيات (٦١١ ـ ٦٢٠ هـ) ، ص٣٤٩ .

(٣) المصدر نفسه ، حوادث ووفيات (٦١١ ـ ٦٢٠ هـ) ، ص٣٤٩ - ٣٧٥ .

ذكر معاصره " أبو الحسن الباخرزي " [1] أنّه حضر يومًا مجلسه على حين غفلة منه ، وهو يعظ الناس بألفاظ مؤثّرة وأقوال بليغة ، وكان مع هذا جمّ التواضع ، فإنّه لمّا علم بعد انتهاء موعظته بوجود " الباخرزي " في مجلسه ، طلب إليه أن يُنبّهه إلى ما قد يكون جرى على لسانه من سهو أو خطأ [2] .

وكان الإمام " أبو المظفّر السمعاني " فارسًا لا يُشقّ له غبار في مجالس الوعظ والتذكير ، وتبصير الناس تعاليم الإسلام ، وقد أثنى عددٌ من العلماء على مجالس وعْظه وأثره في هذا الميدان . . قال حفيده " أبو سعد السمعاني : " « وكانت مجالس وعظه كثيرة الفوائد » [3] ، وامتدحه " ابن خلّكان " فقال : « وله وعْظٌ مشهورٌ بالجودة » [4] ، وقال " الذهبي : " كان « بحرًا في الوعظ ، حافظًا لكثير من الروايات » [5] .

وحينما تحوّل من مذهب الإمام " أبي حنيفة " إلى مذهب الإمام " الشافعي " واضطرب أتباعه من الحنفية ، خرج من " مرْو " إلى " نيسابور " ، فاستُقبل فيها استقبالاً عظيمًا ، وعُقد له مجلس التذكير

---

(١) دمية القصر ، جـ٢ ، ص١٦٤ ـ ١٦٥ .

(٢) المصدر نفسه ، جـ٢ ، ص١٦٥ .

(٣) السمعاني : الأنساب ، جـ٣ ، ص٢٩٩ .

(٤) وفيات الأعيان ، جـ٣ ، ص٢١١ .

(٥) تاريخ الإسلام ، حوادث ووفيات (٤٨١ ـ ٤٩٠ هـ) ، ص٣٢٣ ، سير أعلام النبلاء ، جـ١٩ ، ص١١٦ .

في تلك المدينة [1] ، لشهرته وتميّزه في هذا الميدان ، « وكان بحراً فيه ، حافظًا لكثير من الحكايات والأشعار ، فظهر له القبول من الخاصّ والعامّ » [2] . ولمّا عاد إلى مدينة " مرْو " عُقد له مجلس التذكير في مدرسة الشافعية [3] .

واشتهر العلاّمة " أبو بكر محمد بن منصور السمعاني " بعلوّ شأنه في الوعظ والتذكير [4] ، وكان يعظ الناس بجامع " مرْو " [5] ، كما كان يقوم بالوعظ في بعض المدن التي رحل إليها ، فحينما قدم إلى بغداد في بعض سنيّ حياته أقام مدّة يعظ بالمدرسة النظاميّة فيها [6] . وقد أشاد العلماء بمجالس وعظه وتذكيره وتأثيرها في قلوب الناس ، وذكروا أنّه حينما يتصدّر للتذكير « تتصدّع صمّ الصخور عند

---

(١) الصريفيني : المنتخب من السياق ، ص٤٤٣ ، الرافعي : التدوين في أخبار قزوين ، جـ٤ ، ص١١٩ ، الذهبي : تاريخ الإسلام ، حوادث ووفيات (٤٨١ ـ ٤٩٠ هـ) ، ص٣٢٣ ، سير أعلام النبلاء ، جـ١٩ ، ص١١٦ ، السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، جـ٥ ، ص٣٤٤ ، ابن قاضي شهبة : طبقات الشافعيّة جـ١ ، ص٢٨١ .

(٢) الصريفيني : المنتخب من السياق ، ص٤٤٣ ، السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، جـ٥ ، ص٣٤٤ .

(٣) الصريفيني : المنتخب من السياق ، ص٤٤٣ ، السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، جـ٥ ، ص٣٤٤ .

(٤) النووي : مختصر طبقات الفقهاء ، ص٢٨٤ ، الذهبي : العبر في خبر مَن غبر جـ٢ ، ص٣٩٦ ، السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، جـ٧ ، ص٥ ، ٦ .

(٥) السيوطي : طبقات الحُفّاظ ، ص٤٥٩ .

(٦) ابن الجوزي : المنتظم ، جـ١٧ ، ص١٥٠ ، ابن خلّكان : وفيات الأعيان ، جـ٣ ، ص٢١٠ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ١٩ ، ص٣٧٢ ، ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ١٢ ، ص١٩٢ .

تحذيره ، وتتجمّع أشتات العظام النّخِرَة عند تبشيره »[١] .

وكان أخوه الأصغر " أبو القاسم أحمد بن منصور السمعاني " ، واعظًا أيضًا ، وقد أثنى عليه ابن أخيه الحافظ" أبو سعد السمعاني " في هذا المضمار ، فذكر أنّه كان « مليح الوعظ »[٢] .

وللإمام " أبي سعد السمعاني " باعٌ طويلٌ في ميدان الوعظ والتذكير ، فقد وصفه بعض المؤرّخين بـ« الفقيه الشافعي الحافظ الواعظ »[٣] ، وأشار الإمام " الذهبي " إلى أنّه بعد أن طوّف في كثير من البلاد ، وألقى عصى الترحال ، واستقرّ في مدينته ومدينة آبائه وأجداده " مرْو " ، تفرّغ للتصنيف والوعظ والتدريس[٤] .

وكان "محمد بن أحمد بن منصور السمعاني" واعظًا ، قدم إلى ببغداد ، وأقام فيها مدّةً من الزمن يعظ الناس[٥] ، وقد عُرف بـ«بلطافة البيان ، وفصاحة اللسان ، [وكان] عديم النظير في التذكير »[٦] . كما كان خطيبًا فصيحًا بليغًا . قال في إحدى خُطبه يعظ الناس «احفظ أيمانك حفظ العمامة على رأسك ، لاتكن العمامةَ أعزّ عليك من أيمانك»[٧] .

---

(١) النووي : مختصر طبقات الفقهاء ، ص٢٨٤ ، السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، جـ٧ ، ص٦ ، الداوودي : طبقات المفسّرين ، جـ٢ ، ص٢٦٠ .

(٢) السمعاني : الأنساب ، جـ٣ ، ص٣٠١ .

(٣) ابن الأثير : اللباب ، جـ١ ، ص١٥ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ٢٠ ، ص٤٦٠ .

(٤) الذهبي : تاريخ الإسلام ، حوادث ووفيات (٥٦١ ـ٥٧٠ هـ) ، ص١٢١ .

(٥) المنذري : التكملة لوفيات النقلة ، جـ١ ، ص٦٠ ـ٦١ .

(٦) السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، جـ٦ ، ص٨٧ .

(٧) المصدر نفسه ، جـ٦ ، ص٨٧ .

ولعلّ آخر مَن اشتهر في ميدان الوعظ ومجالس التذكير من السمعانيّين هو " أبو زيد محمد بن عبد الكريم السمعاني " ، الابن الأصغر للإمام " أبي سعد السمعاني " ، ولم تكن مجالس وعظه مقتصرةً على موطنه فحسْب ، بل كان يعظ في بعض المدن الأخرى التي رحل إليها ، فحينما قدم إلى بغداد في سنة ٦٠١هـ/ ١٢٠٤م ، وعظ بها ، وروى في مجلس وعْظه أحاديث من حفظه [(١)] .

جهودهم في إنشاء خزائن الكتب :

كانت مدينة " مرو " في إقليم خراسان مركزًا مهمًا من مراكز العلوم في بلاد المشرق الإسلامي ، وكانت تحتوي على عدد من خزائن الكتب الكبيرة ، بلغت في مطلع القرن السابع الهجري - وفقًا لما يذكره " ياقوت الحموي " - عشر خزائن [(٢)] . ويعود الفضل في إنشاء خزينتين من هذه الخزائن التي كانت تحوي آلافًا من المجلّدات ، إلى السمعانيّين . .

وقد رأى " ياقوت الحموي " خزائن " مرو " تلك وأفاد منها كثيرًا ، وبيّن أنّها كانت مسخّرةً لطلاّب العلم ، وأنّه كان يستعير منها مجلّدات كثيرة ، وأشار إلى أنّ كثيرًا من المعلومات التي دوّنها في كتابه « معجم البلدان » إنّما استفادها من الكتب التي اطّلع عليها في تلك الخزائن ، ومن بينها خزانتا السمعانيّين . . يقول في هذا الصّدد:

---

(١) الذهبي : تاريخ الإسلام ، حوادث ووفيات (٦١١ - ٦٢٠ هـ) ، ص٣٤٩ ، ٣٧٥ .

(٢) معجم البلدان ، جـ٥ ، ص١١٤ .

«وفيها (أي مدينة مرْو) عشر خزائن للوقف لم أرَ في الدنيا مثلها كثرةً وجودة ، منها خزانتان في الجامع ، إحداهما يُقال لها العزيزيّة . . . . والأخرى يُقال لها الكمالية . . . . وبها خزانة شرف المُلْك المستوفي . . . . وخزانة نظام المُلْك الحسن بن إسحاق في مدرسته ، وخزانتان للسمعانيّين ، وخزانةٌ أخرى في المدرسة العميديّة ، وخزانةٌ لمجد المُلْك ، أحد الوزراء المتأخّرين بها ، والخزائن الخاتونية . . . والضميرية . . . وكانت سهلة التناول ، لايُفارق منزلي منها مائتا مجلّد وأكثر بغير رهن . . . . فكنتُ أرتعُ فيها ، وأقتبس من فوائدها ، وأنساني حبّها كلّ بلد ، وألهاني عن الأهل والولد . » [1] .

ومن نافلة القول أن نشير إلى أنّ" ياقوت " لم يكن العالم الأوحد الذي أفاد من خزائن" مرْو " ، بل إنّ كثيراً من العلماء غيره أفادوا منها أيضًا ، الأمر الذي يُبرز الدور المهمّ الذي أسهمت به تلك الخزائن - ومن بينها خزانتا السمعانيّين - في ميدان الحياة العلمية في بلاد المشرق الإسلامي في تلك العهود التاريخية .

ولا نقف في المصادر التاريخية على معلومات تُحدّد تاريخ إنشاء خزينتَي السمعانيّين ، أو تكشف النقاب عمّن أنشأها منهم ، كما لا نقف على روايات تَهدي إلى معرفة مصير تلك الخزائن العلمية العظيمة الموجودة في مدينة" مرْو " ، وماذا كان من أمرها بعد أيّام السمعانيّين . وأغلب الظنّ أنّ محتويات تلك الخزائن من الكنوز العلمية - ومن بينها خزانتا السمعانيّين - قد ضاعت أو احترقت إبّان الغزو المغولي لإقليم خراسان .

---

(١) المصدر نفسه ، جـ٥ ، ص١١٤ .

جهودهم في ميدان التصنيف :

ومن الميادين العظيمة التي كان للسمعانيين جهودٌ بارزةٌ فيها ، ميدان التصنيف والإنتاج العلمي ، فقد ألّف بعضهم كُتُبًا كثيرةً شملت عددًا من العلوم ، كالفقه ، وأصوله ، والحديث ، والتفسير ، واللغة ، والتاريخ ، والأنساب ، وغيرها . .

ومن أوائل السمعانيّين الذين صنّفوا في بعض العلوم ، الإمام " أبو منصور محمد بن عبد الجبار السمعاني" ، فقد أشارت بعض الروايات إلى أنّه صنّف في اللغة العربية بعضًا من الكتب المفيدة[1] . غير أنّ المصادر التاريخية لم تفصح عن أسماء مصنّفاته تلك ، ولا عن عددها ، كما لم تذكر شيئًا عن مضامينها .

وألّف الإمام " أبو المظفر السمعاني " عددًا من الكتب ، في الفقه والأصول والحديث والتفسير[2] وغيرها من العلوم . وقد أثنى الحافظ " أبو سعد السمعاني " على مصنّفات جدّه " أبي المظفّر " ، فذكر «أنّ مَن طالعَ تصانيفه وأنصف ، عرف محلّه من العلم »[3] . ووفقًا لما يذكره " السبكي " فقد كانت جميع مصنّفات الإمام" أبي المظفّر

(١) السمعاني : الأنساب ، جـ٣ ، ص٢٩٨ ، ابن الأثير : اللباب ، جـ٢ ، ص١٣٨ ، القرشي : الجواهر المضيّة ، جـ٣ ، ص٢٠٦ ، ابن قُطْلوبُغا : تاج التراجم ، ص٣٤٠ .

(٢) السمعاني : الأنساب ، جـ٣ ، ص٢٩٩ ، الذهبي : تاريخ الإسلام ، حوادث ووفيات (٤٨١ ـ ٤٩٠ هـ) ، ص٣٢٤ ، ابن قاضي شهبة : طبقات الشافعيّة ، جـ١ ، ص٢٨١ .

(٣) السمعاني : الأنساب ، جـ٣ ، ص٢٩٩ .

السمعاني " على مذهب الإمام الشافعي ، وهو المذهب الذي تحوّل إليه في سنة ٤٦٢ هـ ، ولم يوجد له شيء من المؤلّفات على مذهب الإمام أبي حنيفة ، الذي كان عليه في أوّل حياته [١] .

ومن مؤلّفاته : كتاب « التفسير » ، الذي امتدحه " أبو سعد السمعاني " بقوله - عند ذكْره لمؤلّفات جدّه - : « . . صنّف التفسير الحسن المليح الذي استحسنه كلُّ مَن طالعه »[٢] ، وقد ذكره المؤرّخ " ابن الأثير " باسم « تفسير القرآن العزيز » ، وأثنى عليه فوصفه بأنّه «كتابٌ نفيس » [٣] ، وهو في ثلاثة مجلّدات [٤] .

وفي الحديث النبوي الشريف صنّف كتاب « الانتصار » ، وأشار إليه " الذهبي " باسْم « الانتصار بالأثر » ، وذكر أنّه في الردّ على المخالفين [٥] ، وسمّاه صاحب « كشف الظنون » « الانتصار لأصحاب الحديث » ، وهو - كما يقول - مختصر في ثلاثة أبواب: الأوّل : في الحثّ على السنة والجماعة ، والثاني : في فضل الحديث ، والثالث : في شجرة العلم [٦] .

---

(١) السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، جـ٥ ، ص٣٤٤ .

(٢) السمعاني : الأنساب ، جـ٣ ، ص٢٩٩ .

(٣) اللباب في تهذيب الأنساب ، جـ١ ، ص١٤ .

(٤) الرافعي : التدوين في أخبار قزوين ، جـ٤ ، ص١١٩ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ١٩ ، ص١١٧ .

(٥) الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ١٩ ، ص١١٧ .

(٦) حاجي خليفة : كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، دار العلوم الحديثة ، بيروت ، جـ١ ، ص١٧٣ .

وألّف في الحديث أيضًا كتاب « منهاج أهل السنة »[1] ، وقد ذكره الحافظ " الذهبي " باسْم « المنهاج لأهل السنّة »[2] .

وفي أصول الفقه صنّف الإمام " أبو المظفّر السمعاني " كتاب «القواطع » ، وقد أثنى " أبو سعد السمعاني " على هذا الكتاب ، وقال إنّه يُغني عمّا صُنّف في ذلك الفنّ[3] ، كما امتدحه " السبكي " بقوله : « ولا أعرف في أصول الفقه أحسن من كتاب القواطع ، ولا أجمع »[4] .

وله أيضًا كتاب « المختصر » ، ويُعرف باسْم « الاصطلام » ، وقد سار ذكْره في الآفاق ، وأورد " السبكي " في « طبقاته »[5] بعضًا من المسائل والفوائد التي ذكرها فيه .

ومن آثاره العلمية أيضًا :

- كتاب « الردّ على القدرية » ، وقد ذكر الإمام " أبو سعد السمعاني " أنّه يربو على عشرين جزءًا[6] ، وذكره " الذهبي " باسْم كتاب « القدر »[7] .

---

(١) السمعاني : الأنساب ، جـ٣ ، ص٢٩٩ .

(٢) الذهبي : تاريخ الإسلام ، حوادث ووفيات (٤٨١ ـ ٤٩٠ هـ) ، ص٣٢٤ ، سير أعلام النبلاء ، جـ١٩ ، ص١١٧ .

(٣) الأنساب ، جـ٣ ، ص٢٩٩ .

(٤) السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، جـ٥ ، ص٣٤٣ .

(٥) المصدر نفسه ، جـ٥ ، ص٣٤٥ .

(٦) الأنساب ، جـ٣ ، ص٢٩٨ .

(٧) الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ١٩ ، ص١١٧ .

- كتاب « البرهان » ، وهو في الخلاف ، ويشتمل على نحو ألف مسألة خلافية [(1)] .

- كتاب « الأوساط » .

- كتاب « الأمالي » [(2)] .

وتذكر بعض الروايات التاريخية أنّ" أبا بكر محمد بن منصور السمعاني " ، شرع في تصنيف عدد من الكتب ، لكنّ المنيّة عاجلته قبل أن يُتمّ شيئًا منها [(3)] . ولم تذكر المصادر شيئًا عن العلوم التي ألّف فيها ، ومن المرجّح أنّها لم تخرج عن إطار العلوم التي كان بارعًا فيها وفارسًا في ميدانها ، وهي : الفقه ، والحديث ، ومعرفة الرجال ، والأدب ، والتاريخ ، والأنساب .

ومع أنّ الإمام " أبا بكر السمعاني " لم يُقدّر له أن يُنجز شيئًا من مصنّفاته ، إلاّ أنّ كثيرًا من آرائه العلمية ، وما بقي من أشعاره ، قد حُفظتْ ، وأفاد منها العلماء الذين عاصروه والذين جاءوا من بعده ،

---

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ٣ ، ص٢١١ .

(٢) انظر عن آثار الإمام " أبي المظفّر السمعاني " : (السمعاني : الأنساب ، جـ٣ ص٢٩٩ ، ابن الجوزي : المنتظم ، جـ١٧ ، ص٣٧ـ٣٨ ، ابن الأثير : اللباب جـ١ ، ص١٤ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ٣ ، ص٢١١ ، الذهبي : تاريخ الإسلام ، حوادث ووفيات (٤٨١ ـ٤٩٠ هـ) ، ص٣٢٤ ، سير أعلام النبلاء ، جـ١٩ ، ص١١٦ ـ١١٧ ، اليافعي : مرآة الجنان ، جـ٣ ، ص١٥١ ، السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، جـ٥ ، ص٣٤٢ ، ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ١٢ ، ص١٦٤ ، ابن قاضي شهبة : طبقات الشافعية ، جـ١ ، ص٢٨١ ، الداوودي : طبقات المفسرين ، جـ٢ ، ص٣٤٠) .

(٣) السمعاني : الأنساب ، جـ٣ ، ص٣٠٠ .

واستعرضوا بعضها في مصنّفاتهم ، ومن هؤلاء العلماء الإمام" تقيّ الدين ابن الصلاح " [(١)] والحافظ " محيي الدين النووي " [(٢)] ، والعلاّمة " تاج الدين السبكي " [(٣)] .

وقد أملى " أبو بكر السمعاني " في مجالس علمه مائة وأربعين مجلسًا ، ودوّنت هذه المجالس ، وبلغت - وفقًا لقول" النووي " - ثلاثة مجلّدات [(٤)] ، وانتفع بها العلماء ، وحظيتْ بثناء الكثير منهم في سائر العصور ، ومن بينهم نجله الحافظ " أبو سعد السمعاني " [(٥)] ، والمؤرّخ " ابن الأثير " [(٦)] ، والحافظ " النووي " [(٧)] ، والعلاّمة " السبكي " [(٨)] ، والإمام " جلال الدين السيوطي " [(٩)] .

وكان أعظم السمعانيّين شأنًا وأطولهم باعًا في ميدان التصنيف ، هو - بلا منازع - الإمام الحافظ " أبو سعد السمعاني " ، فقد صنّف كُتبًا كثيرة في عدد من فنون العلم والمعرفة ، كالحديث والفقه والتاريخ والأنساب . . وكان لآثاره العلمية أصداء بارزة عند العلماء ، فقد أفادوا منها في مختلف العصور وفي سائر البلدان .

---

(١) طبقات الفقها الشافعية ، جـ١ ، ص٢٧٢ - ٢٧٤ .

(٢) مختصر طبقات الفقهاء ، ص٢٨٢ - ٢٨٣ .

(٣) السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، جـ٧ ، ص٩ - ١١ .

(٤) مختصر طبقات الفقهاء ، ص ٢٨٢ .

(٥) السمعاني : الأنساب ، جـ٣ ، ص٣٠٠ .

(٦) ابن الأثير : اللباب ، جـ٢ ، ص١٣٩ .

(٧) النووي : مختصر طبقات الفقهاء ، ص٢٨٢ .

(٨) السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، جـ٧ ، ص٧ .

(٩) السيوطي : طبقات الحُفّاظ ، ص٤٥٩ .

كما حظيتْ آثاره بثناء الكثير من العلماء ومديحهم ، فوصفها العلاّمة " ابن الأثير " بأنّها « مصنّفاتٌ حسنةٌ غزيرة الفائدة »[1] ، وقال " ابن النجّار " - مُشيداً بالإمام " أبي سعد السمعاني " - إنه «مليح التصانيف » [2] ، كما امتدحه " السبكي " فوصفه بـ « صاحب التصانيف المفيدة الممتعة » [3] ، ووصفه " ابن قاضي شهبة " أيضًا بـ « صاحب التصانيف الكثيرة والفوائد الغزيرة » [4] .

وقد فُقدت معظم مصنّفات الإمام" أبي سعد السمعاني " ولم يبقَ منها سوى عدد يسير ، ويُعزى ذلك بدرجة رئيسة إلى ما تعرّضت له مدينة " مرو " - موطن السمعانيين - من هجوم مدمّر على أيدي المغول في أوائل القرن السابع الهجري - شأنها في ذلك شأن كثير من مدن المشرق الإسلامي في تلك الفترة - وما نتج عنه من حرق وتدمير وضياع لكثير من الكنوز العلمية [5] .

ويُعتبر كتاب « الأنساب » أبرز مؤلّفات الإمام" أبي سعد السمعاني " وأكثرها أهمّيةً وأوسعها شهرةً ، وقد مهّد له بالحديث عن الحثّ على تعلّم الأنساب ومعرفتها ، ثمّ ذكر نسب الرسول صلى الله

---

(١) اللباب في تهذيب الأنساب ، جـ١ ، ص١٤ .

(٢) الذهبي : تاريخ الإسلام ، حوادث ووفيات (٥٦١ - ٥٧٠ هـ) ، ص١٢١ ، سير أعلام النبلاء ، جـ٢٠ ، ص٤٦٢ .

(٣) السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، جـ٧ ، ص١٨٠ .

(٤) ابن قاضي شهبة : طبقات الشافعية ، جـ١ ، ص٣٤٤ .

(٥) انظر : السمعاني : التحبير في المعجم الكبير ، جـ١ ، مقدّمة التحقيق ، ص٢٨ .

عليه وسلّم ، ونسب بني هاشم عامّةً ، ثمّ توسّع فذكر نسب قريش ، ونسب العرب وأصلهم ، ثمّ أشار إلى أنساب بعض القبائل العربية مفصّلةً ، ومن ثمّ شرع في ذكْر الأنساب إلى القبائل أو البلدان أو غيرها ، مرتّبةً على الحروف ، مُضمّنًا كلّ نسبة تراجم الأعلام المشهورين بها ، ولذا اشتمل كتابه على تراجم لآلاف من العلماء والأعيان [١] .. ولم يكن هدف " السمعاني " تحقيق أسماء الأعلام وأنسابهم ، بل توضيح أصل الأسماء التي نُسبوا إليها واشتقاقها [٢] .

وتحدّث " السمعاني " في كتابه « الأنساب » عن أُسْرته في بِضْع صفحات ، ذكر فيها بعض مَن اشتهر من آبائه وأجداده وأعمامه - باختصار - وأورد معلومات قيّمةً عنهم [٣] .

وقد اختصره العلاّمة " ابن الأثير " في كتابه « اللباب في تهذيب الأنساب » ، واستدرك عليه بعض المعلومات والروايات ، وصحّح ما ورد في بعض مواضعه من هفوات ، ثمّ اختصر الإمام الحافظ" جلال الدين السيوطي " كتاب « اللباب .. » في كتاب سمّاه « لبّ اللباب في تحرير الأنساب » ، وله أيضًا مختصراتٌ أخرى عديدَة [٤] .

---

(١) انظر : السمعاني : الأنساب ، جـ١ ، ص١٧ وما بعدها .

(٢) كراتشكوفسكي : تاريخ الأدب الجغرافي العربي ، ص٣٤٤ .

(٣) السمعاني : الأنساب ، جـ٣ ، ص٢٩٨-٣٠١ .

(٤) انظر عن مختصَرات كتاب (الأنساب): بروكلمان : تاريخ الأدب العربي ، نقله إلى العربية : د. السيّد يعقوب بكر ، الطبعة الثانية ، دار المعارف ، القاهرة ، جـ٦ ، ص٦٤-٦٥ .

ومن آثار الإمام " أبي سعد السمعاني " البارزة ، كتاب « التحبير في المعجم الكبير » ، وهو في تراجم شيوخه ، ويحتوي على تراجم مختصرة لـ(١١٩٣) عالم من العلماء الذين تتلمذ الإمام" أبو سعد السمعاني " عليهم ، وقد رتّب التراجم على حروف المعجم ، وجعل لكلّ حرف بابًا مستقلاً ، فاشتمل على ثمانية وعشرين بابًا . ويُعدّ كتاب « التّحبير » مصدرًا رئيسًا لكثير من كتب التراجم ، وبخاصّة في تراجم بعض علماء المشرق الإسلامي في القرن السادس الهجري [١] . وقد ترجم فيه " السمعاني " ـ باختصار ـ لبعض أفراد أسرته ، ومنهم : عمّه " أبو محمد الحسن بن منصور السمعاني" [٢] ، وأخوه " أبو المظفّر عبد الوهّاب بن محمد بن منصور السمعاني" [٣] ، وابن عمّه " أبو منصور محمد بن الحسن بن منصور السمعاني" [٤] ، وقد أفدتُ من هذه التراجم في مواضع عدّة من هذه الدراسة .

وللسمعاني أيضًا كتاب « أدب الإملاء والاستملاء » ، وقد ألّفه سنة ٥٤١هـ [٥] ، وتحدّث فيه عن علم الحديث ، وألفاظ الحديث النبوي ، وأهمّية الأسانيد ، وطرائق روايته عن العلماء ، وإملاء الحديث وتدوينه ، ومجالس الإملاء ، وفضل طلب العلم والعناية به .

---

(١) انظر : السمعاني : التحبير في المعجم الكبير ، جـ١ ، مقدّمة التحقيق ، ص١٣ ، ٤٧ ، ٥٨ .

(٢) المصدر نفسه ، جـ١ ، ص٢١٦ ـ ٢١٩ .

(٣) المصدر نفسه ، جـ١ ، ص٥٠٣ ـ ٥٠٤ .

(٤) المصدر نفسه ، جـ٢ ، ١١١ ـ ١١٢ .

(٥) انظر : السمعاني : أدب الإملاء والاستملاء ، تحقيق: سعيد محمد اللحّام ، الطبعة الأولى ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م ، ١٩٨ .

ثمّ أطنب في الحديث عن أدب مَن يتولّى الإملاء في مجالس العلم مثل حُسْن المظهر وحسْن الخلُق ونحوها ، وعن عقد المجالس العلمية في المساجد وآدابها ، واستحباب رواية العلم عن الأئمّة المشاهير الثقات وتحدّث بعد ذلك عن أدب المستملي ، مثل أن يكون فصيحًا جهوري الصوت ، لأنّه يُردّد ما قاله الشيخ أمام الحاضرين في مجلس العلم ، وأن يكون موضع جلوسه مرتفعًا حتّى يراه الناس ، وإذا زاد عدد الحاضرين في المجلس ينبغي أن يكون هناك أكثر من مستمل حتّى يبلّغ بعضهم بعضًا . . ثمّ أسهب في الحديث عن آداب مجالس العلم والإملاء ، وما ينبغي على الطلاّب مراعاته فيها من أمور ، واختتم حديثه ببيان أدوات الإملاء وآلاته ، مثل: المحبرة ، والقلم ، والورق، ونحوها [1] .

ومن مصنّفاته أيضًا كتاب « طراز الذهب في أدب الطلب » ، وهو في آداب طلب العلم ، وقد أشار إليه في كتابه « أدب الإملاء . . » في أكثر من موضع [2] ، ويُستشفّ من هذه الإشارات أنّه كتابٌ مفصّلٌ ؛ لأنّه يُحيل إليه ، مبيّنًا أنّه أسهب الحديث فيه عن بعض الموضوعات التي أشار إليها مقتضبةً في كتابه « أدب الإملاء . . » ، ومن المرجّح أنّ " السمعاني " صنّف كتابه « طراز الذهب . . » قبل سنة ٥٤١هـ ، لأنّه يُشير إليه - كما ذكرنا - في كتابه «أدب الإملاء . . » الذي ألّفه في تلك السنة .

---

(١) السمعاني : المصدر السابق ، ص٩ وما بعدها .

(٢) انظر : السمعاني : المصدر السابق ، ص١٦٥ ، ١٩٨ .

وللحافظ " أبي سعد السمعاني " مصنّفٌ في « فضائل الشام » ، وهو كُتيّبٌ صغير ، أورد فيه عدداً من الأحاديث النبويّة ، المتعلّقة بفضل بلاد الشام ، وبعض أقوال الصحابة والتابعين في مدحها والثناء على أهلها ، وختمه بأبيات من الشعر قيلت في مدح بعض البلدان الشامية [1] . . وهذا الكتاب من القلّة القليلة التي بقيتْ من آثار الإمام " أبي سعد السمعاني " ، ولم تتعرّض لعوادي الزمن .

ومن مؤلّفاته أيضًا كتاب « فرط الغرام إلى ساكني الشام » . وهو في ثمانية أجزاء ، وقد صنّفه سنة٥٦٠هـ/ ١١٦٥ م ، أي قُبيل وفاته بسنتين ، رحمه الله ، وبعث بنسخة منه إلى معاصره الإمام الحافظ " ابن عساكر " في بلاد الشام ، وكان قد الْتقى به في مدينة " دمشق " ، في أثناء رحلاته العلمية ، وعبّر فيه عن صدق مودّته ، وتقديره له . وقد ذكر " ابن عساكر " أنّه يشتمل على « قطعة من الأحاديث المسانيد . . . وجملة من الحكايات والأناشيد » . وسُرّ كثيراً لتواصل الإمام " السمعاني " معه ووفائه له ، فذكر أنّ ذلك « يدلّ على صحّة وُدّه ، ودوامه على حُسْن عهده » [2] . . وهكذا تكون أخلاق العلماء .

وللسمعانيّ آثارٌ أخرى كثيرة ، معظمها في عداد المفقود ، وقد أشارتْ إليها بعض المصادر التاريخية ، ومنها :

---

(١) انظر : السمعاني : فضائل الشام ، تحقيق : عمرو علي عمر ، الطبعة الأولى ، دار الثقافة العربية ، دمشق ، ١٤١٢ هـ/ ١٩٩٢م ، ص٣١ وما بعدها .

(٢) ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق ، جـ٣٦ ، ص٤٤٨ ، وانظر أيضًا : ابن الأثير اللباب ، جـ١ ، ص١٥ .

- كتاب « تاريخ مرو » ، ويقع - كما يقول " ابن الأثير " [(١)] و " ابن خلّكان " [(٢)] - في أكثر من عشرين مجلّدًا .

- كتاب « الذيل على تاريخ بغداد » للخطيب البغدادي ، وهو كتابٌ كبيرٌ ، يذكر " ابن خلّكان " [(٣)] أنّه يقع في خمسة عشر مجلّدًا ، وتُشير بعض الروايات إلى أنّه يُناهز في حجمه وامتداد مساحته العلمية « تاريخ بغداد » ، للخطيب [(٤)] .

- كتاب « معجم البلدان » ، وقد ذكره الحافظ " الذهبي " [(٥)] والعلاّمة " تاج الدين السبكي " [(٦)] ، وأشارا إلى أنّه خاصٌّ بالبلدان التي سمع بها " السمعاني " .

- كتاب « الدعوات النبوية » ، وتذكره بعض المصادر باسْم « الدعوات المرويّة عن الحضرة النبويّة » .

- كتاب « أفانين البساتين » [(٧)] ، وقد ذكره " ياقوت الحموي " باسْم كتاب « الأفانين » وأفاد منه في حديثه عن مدينة " سمرقند " [(٨)] .

---

(١) ابن الأثير : اللباب ، جـ١ ، ص١٤ .

(٢) وفيات الأعيان ، جـ٣ ، ص٢١٠ .

(٣) المصدر نفسه ، جـ٣ ، ص٢١٠ .

(٤) السخاوي : الإعلان بالتوبيخ لمن ذمّ التاريخ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٣٩٩ هـ/ ١٩٧٩م ، ص١٢٣ ، مريزن سعيد مريزن عسيري: الحياة العلمية في العراق في العصر السلجوقي ، ص٤٣٣ - ٤٣٤ .

(٥) تاريخ الإسلام ، حوادث ووفيات (٥٦١ - ٥٧٠ هـ) ، ص١٢٠ - ١٢١ .

(٦) طبقات الشافعية الكبرى ، جـ٧ ، ص١٨١ .

(٧) الذهبي : تاريخ الإسلام ، حوادث ووفيات (٥٦١ - ٥٧٠ هـ) ، ص١٢٢ ، السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، جـ٧ ، ص١٨٣ .

(٨) معجم البلدان ، جـ٣ ، ص٢٤٩ .

- كتاب « حثّ الإمام على تخفيف الصلاة » ، وقد ذكره " الذهبي " في كتابه « تاريخ الإسلام »[1] بهذا الاسْم ، في حين ذكره في « السِّير »[2] باسْم « تخفيف الصلاة » ، وذكره " السبكي " في «طبقاته » باسْم « حثّ الإمام على تخفيف الصلاة مع الإتمام »[3] .

- كتاب « السَّنَد لمن اكتنى بأبي سعد »[4] ، وتذكره بعض المصادر باسْم « الشدّ والعدّ لمن اكتنى بأبي سعد »[5] .

- كتاب « الربح في التجارة »[6] ، ويُسمّى أيضًا « الربح والخسارة في الكسب والتجارة »[7] .

- كتاب « الإسفار عن الأسفار »[8] ، ويُسمّى أيضًا « الإسفار عن حكْم الأسفار »[9] .

- كتاب « الأمالي الخمسمائة » ، وقد عُرف بهذا الاسم لأنّه أملاه في خمسمائة مجلس[10] .

---

(١) الذهبي : تاريخ الإسلام ، حوادث ووفيات (٥٦١ـ٥٧٠ هـ) ، ص١٢٣ .
(٢) الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ٢٠ ، ص٤٦٢ .
(٣) طبقات الشافعية الكبرى ، جـ٧ ، ص١٨٤ .
(٤) الذهبي : تاريخ الإسلام ، حوادث ووفيات (٥٦١ـ٥٧٠ هـ) ، ص١٢٣ .
(٥) طبقات الشافعية الكبرى ، جـ٧ ، ص١٨٤ .
(٦) الذهبي : تاريخ الإسلام ، حوادث ووفيات (٥٦١ـ٥٧٠ هـ) ، ص١٢٣ .
(٧) طبقات الشافعية الكبرى ، جـ٧ ، ص١٨٤ .
(٨) الذهبي : تاريخ الإسلام ، حوادث ووفيات (٥٦١ـ٥٧٠ هـ) ، ص١٢١ .
(٩) بروكلمان : تاريخ الأدب العربي ، جـ٦ ، ص٦٥ .
(١٠) الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ٢٠ ، ص٤٦١ .

- كتاب « تبيين معادن المعاني » ، وهو في لطائف القرآن الكريم .

- كتاب « تاريخ الوفاة للمتأخّرين من الرواة » .

- كتاب « معجم الشيوخ » .

- كتاب « فضل صلاة التسبيح » .

- كتاب « تحفة العيدين » .

- كتاب « ذكرى حبيب رحل وبشرى مشيب نزل » .

- كتاب « الأخطار في ركوب البحار » .

- كتاب « التحايا والهدايا » .

- كتاب « الأدب في استعمال الحسب » .

- كتاب « تحفة المسافر » .

- كتاب « المناسك » .

- كتاب « صوم الأيام البيض » .

- كتاب « سلوة الأحباب ورحمة الأصحاب » .

- كتاب « لَفْتَة المشتاق إلى ساكني العراق » .

- كتاب « فوائد الموائد » .

- كتاب « صلاة الضحى » .

- كتاب « صلاة الصبح » .

- كتاب « الصدق في الصداقة » .
- كتاب « النزوع إلى الأوطان » .
- كتاب « التحف والهدايا » .
- كتاب « الهديّة » .
- كتاب « الأمالي » .
- كتاب « بُخار بُخُور البخاري » .
- كتاب « التذكرة والتبصرة » .
- كتاب « دخول الحمّام » .
- كتاب « الحلاوة » .
- كتاب « الحثّ على غسل اليد » .
- كتاب « الهريسة » .
- كتاب « المساواة والمصافحة » .
- كتاب « عزّ العزلة » .
- كتاب « فضل يس » ، ويسمّى أيضًا « فضائل سورة يس » [1] .

---

(١) عن مصنفات الإمام " أبي سعد السمعاني " ، انظر: (السمعاني: التحبير في المعجم الكبير ، جـ١ ، مقدمة التحقيق ، ص٢٨ ـ ٣٢ ، الذهبي : تاريخ الإسلام ، حوادث ووفيات (٥٦١ ـ ٥٧٠ هـ) ص١٢١ ـ١٢٣ ، تذكرة الحفاظ جـ٤ ، ص١٣١٧ ـ١٣١٨ ، سير أعلام النبلاء ، جـ٢٠ ، ص٤٦٠ ـ٤٦٢ ، ابن الدمياطي : المستفاد من ذيل تاريخ بغداد ، ص١٧٣ ، السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، جـ٧ ، ص١٨٢ ـ ١٨٤ ، السيوطي : طبقات الحُفّاظ ، ص٤٧٣ ، بروكلمان : تاريخ الأدب العربي ، جـ٦ ، ص٦٥ ـ ٦٦) .

وهكذا كانت للسمعانيّين جهودٌ قيّمةٌ في إثراء المكتبة الإسلامية بالكثير من المصنّفات والآثار العلمية ، ولئن كانت الغالبية العُظمى من هذه الآثار قد فُقدتْ ، وضاعت بفقدانها كنوزٌ عظيمةٌ ، فإنّ البقيّة الباقية منها تُنبئ بحقّ عمّا كان لهذه الأسرة العربية الكبيرة (أسرة السمعانيّين) من أثر كبير في ميدان مهمّ من ميادين الحياة العلمية في المشرق الإسلامي .

لقد كان للآثار العلمية التي صنّفها السمعانيّون - ولا سيّما الإمام "أبو سعد السمعاني " ، وجدّه العلاّمة " أبو المظفّر السمعاني " - أهمّيتها الكبيرة وقيمتها العالية ، فقد أفاد منها الكثير من العلماء المعاصرين لهم ، أو مَن عاش في العصور التالية ، ويتّضح ذلك جليّا من خلال الاطّلاع على بعض مصنّفات أولئك العلماء . .

ومن أبرز العلماء الذين أفادوا من آثارهم العلمية" ياقوت الحموي " في كتابَيه « معجم الأدباء » ، و « معجم البلدان » ، و " تقيّ الدين ابن الصلاح " في كتابه « طبقات الفقهاء الشافعيّة » ، و " ابن خلّكان " في كتابه « وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان » ، و " ابن العديم " في كتابه « بُغية الطلب في تاريخ حلَب » ، و " الذهبي " في معظم آثاره ، و" السبكي " في كتابه « طبقات الشافعية الكبرى »، و" القُرشي " في كتابه « الجواهر المُضيّة في طبقات الحنفيّة » ، و " ابن حجر العسقلاني " في كتابه « لسان الميزان» . .

الخاتمــة :

وبعـد : فـقـد كـشـفتْ هذه الدراسـة عن نتـائج عـديدة ، وعن حقائق تاريخية جديدة ، أهمّها ما يلي :

- اشتـهر السـمـعـانيّـون على سـاحـة الحيـاة العلمـيـة في المشـرق الإسـلامي ، وعـلا شـأنهم وذاع صـيـتهـم ، في الفـترة الواقـعـة بين مـسـتـهلّ القـرن الخـامس الـهـجـري ، وأواخـر العـقـد الثـاني من القـرن السـابع الـهـجـري، حيـث تـلاشى ذِكْـرهم مع ظهـور المغـول على مـسـرح الأحـداث في المشرق . .

- بلغ عـدد السـمـعـانيّين الذين عُـرفـوا من خـلال كـتب التـاريخ والتـراجم وكـانت لهم جـهـودٌ في مـيـادين الحـيـاة العلمـيـة في المشـرق الإسـلامي ، أربعـة عـشر عَلَمًا ، كـان أوّل مَن اشتـهـر منهمّ أبا منصـور مـحـمـد بن عـبـد الجبّـار السـمـعـاني " ، المتوفّى سنة ٤٥٠ هـ/ ١٠٥٨ م ، وأعظمـهـم منزلةً " أبو سـعـد عـبـد الكريم بن مـحـمـد بن منصـور السـمـعـاني " ، المتوفّى سنة ٥٦٢ هـ/ ١١٦٧ م ، وآخرهم " أبو زيد مـحـمـد ابن عـبـد الكريم السـمـعـاني " ، الذي عـاش في النصف الثـاني من القـرن السادس وأوائل القرن السابع الهجريين . .

- كـانت للسـمـعـانيّين جهـودٌ كبيرةٌ في ميـدان الرحلة في طلب العلم ولقـاء العلمـاء ، وكـان أعظمـهـم شـأنًا في هذا الميـدان" أبو سـعـد السـمـعـاني " ، الذي طوّف في الكثيـر من البلدان ، وحـرص على لقـاء الجمّ الغـفـيـر من العلمـاء ، حتّى إنّه دخل بعض المدن الشـاميّـة التي كـانت تحت السـيطرة الصليـبـيـة ، كـالقـدس والخليل ، وهـو أمـرٌ لم يتيـسّـر حتّى

لبعض علماء الشام . .

- بلغ عدد شيوخ الإمام " أبي سعد السمعاني " أكثر من أربعة آلاف شيخ ، وفي رواية سبعة آلاف ، وهو عددٌ لم يبلغه عالم آخر على مرّ العصور ، وكان من أسباب كثرة شيوخه أنّه اعتبر كلَّ مَن روى له مسألةً من مسائل العلم ، أو بعضًا من أبيات الشعر ، شيخًا له ، حتّى ولو كان ذلك شيئًا يسيرًا ، كما أنّه طلب العلم على الرجال والنساء ، هذا فضلاً عن سعة رحلاته في طلب العلم وشمولها لعدد كبير من المدن الإسلامية . .

- أسهم معظم السمعانيّين في العناية بالعلوم الشرعية ، ونبغوا فيها إلى حدٍّ بعيد ، وأضحى عددٌ منهم أئمّةً في الفقه والحديث والتفسير ، وكان أبرزهم في هذا الميدان الإمام" أبو المظفّر منصور بن محمد بن عبد الجبّار السمعاني " ، وابنه الأكبر " أبو بكر محمد بن منصور السمعاني " ، وحفيده " أبو سعد عبد الكريم السمعاني " ، وابن حفيده " أبو المظفّر عبد الرحيم بن عبد الكريم السمعاني " . .

- عُني بعض السمعانيّين باللغة والأدب ، وتميّزوا فيهما ، وكان أكثرهم نبوغًا في ميادينهما " أبو بكر السمعاني " ، الذي كان - إلى جانب تبحّره في اللغة - شاعرًا أيضًا ، كما كان منهم آخرون يَنْظمون الشعر ، مثل " أبي القاسم أحمد بن منصور السمعاني" ، وابنه "محمد بن أحمد بن منصور السمعاني" ، وابن أخيه " محمد بن الحسن السمعاني " .

- أوضحتْ هذه الدراسة أنّه على الرغم من أنّ السمعانيّين عاشوا في العصر السلجوقي ، وهو العصر الذي شهد إحياء اللغة الفارسيّة من

جديد ، بل وسرعة نموّها وانتشارها في خراسان وفي أقاليم أخرى عديدة من بلاد المشرق الإسلامي ، بتشجيع من زعماء السلاجقة ، على الرغم من ذلك ، إلاّ أنّ النشاط العلمي للسمعانيّين ظلّ في معظم نواحيه مقتصراً على اللغة العربية . . ومع أنّ بعضهم كان يُتقن الفارسيّة ويَنظم الشعر بها أيضًا ، إلاّ أنّه لم يكن لها أثرٌ يُذكر في حياتهم العلمية ، بل كان جُلّهم يُدرّس ويناظر ويَعظ ويُفتي ويُحدّث ويُصنّف باللغة العربية فحسْب . .

- شملتْ عناية السمعانيّين بالعلوم ، وتبحّرهم في ميادينها - بالإضافة إلى العلوم الشرعية واللغة والأدب - علوم التاريخ والتراجم والأنساب والجغرافيا ، وكان أكثرهم اهتمامًا بهذه العلوم ، الإمام " أبو سعد السمعاني " ، كما كان لوالده " أبي بكر السمعاني " ونجله " أبي المظفّر عبد الرحيم السمعاني " معرفةٌ بهذه العلوم ، واهتمامٌ ببعض جوانبها .

- اتّضح لنا من خلال هذه الدراسة أنّه على الرغم من نبوغ السمعانيّين في كثير من العلوم ، إلاّ أنّه لم يكن لأحدٍ منهم ميولٌ إلى العلوم التجريبيّة ، كالطبّ والفلك والرياضيّات والكيمياء ونحوها .

- تَبيّنَ لنا في هذه الدراسة أنّ السمعانيّين كانت لهم جهودٌ بارزةٌ في ميدان التعليم ، وفي إفادة الناس ونشر العلم بينهم ، وقد شملتْ جهودهم الدروسَ العلمية في المساجد ، وما كان يتخلّلها من إملاء الحديث ، والتذكير والوعظ ، ونحوه ، وكذلك التعليم في بعض المدارس . ولم تقتصر جهودهم في هذا الميدان على موطنهم (مدينة مرْو) فقط ، بل شملت بلاداً أخرى عديدة ، فقد حدّث بعضهم في

مـــدن " بلْخ " ، و " هَراة " ، و " نيـــســـابور " ، و " بغـــداد " ، وغيرها . وقد أفاد منهم عددٌ كبيرٌ من طلاّب العلم المعاصرين لهم .

- أدرك السـمعـانيّون أهمّـية الكتب والمكتبات وضرورتهـا في الحـياة العلمـيـة ، ولـذا أسـهـمـوا في إنشـاء بعض خـزائن الكتب في مـدينة " مرْو " ، حيـث أنشـأوا فيـهـا خـزينتين ، شكّلتـا مع ثمـان خـزائن أخـرى في تلك المدينة منظومـةً عظيـمـةً من الكنوز العلمـيـة ، نَهَلَ منهـا العلمـاء في تلك العـصـور ، وأشـاد بهـا بعـضـهـم ، ومنهم" ياقـوت الحـمـوي " ، الذي ذكـر أنّ كـثيرًا من المعلومـات التي سـاقـهـا في كـتـابه « مـعـجـم البلدان» إنّما استقاها من تلك الخزائن العلمية ، ومن بينها خزانتا السمعانيين .

- كـان لبـعض أئمّـة السـمـعـانيّين جـهـودٌ مميّـزةٌ في مـيـدان التـصنيف والإنتـاج العـلمي ، شـملتْ مـختلف العـلوم كـالحـديث والفـقـه والتـفسـيـر والتـاريخ والتـراجـم والأنسـاب ، وكـان أعظمـهـم أثـرًا في هذا المضـمـار ، الإمـام " أبو المظفّـر السـمـعـاني " ، وحـفـيـده الحـافظ " أبو سـعـد السـمـعـاني " ، الذي بلغتْ آثاره العلمـيـة أكثـر من خـمسين كتـابًا في سـائرَ العلوم . . وقـد أفـاد كـثـيـرٌ من العلمـاء من آثارهـم العلمـيـة ، وبخـاصّـة مـصنّفـات الإمـام " أبي سعدِ السـمعـاني " كـ « الأنسـاب » ، و « التـحـبيـر في المعجم الكبير » . .

- تبيّن لنا في هذه الدراسة أنّ كـتـاب« الأنـسـاب » ، للسـمـعـاني ، هو أحـد المصادر الرئيـسة التي اعتـمـد عليـهـا العـلاّمة" ياقـوت الحـمـوي " في التـعـريف بكثيـر من المدن والمواضع في كـتـابه القـيّم « مـعـجم البلدان» ، الأمـر الذي يُبْـرز مـدى الاهتـمـام الذي بذلـه الإمـام" السـمـعـاني " في الميدان الجغرافي .

ملحق (١)
نسب السمعانيين

تميـــم

|

سمعـــان

|

عبد الله

|

مسـلم

|

الربيـــع

|

الفضل

|

عبد الجبار

|

أحمد

|

جعفر

|

محمد

|

أحمد

|

عبد الجبار

|

محمد

ملحق (٢)
قائمة بأعلام السمعانيّين

(١) أبو منصور محمد بن عبد الجبار بن أحمد بن محمد بن جعفر بن أحمد بن عبد الجبار بن الفضل بن الربيع بن مسلم بن عبد الله السمعاني (٠٠٠ ـ ٤٥٠ هـ) .

(٢) أبو القاسم علي بن محمد بن عبد الجبار السمعاني (٠٠٠ ـ ٠٠٠) .

(٣) أبو العلاء علي بن علي بن محمد بن عبد الجبار السمعاني (٠٠٠ ـ ٠٠٠) .

(٤) أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني (٤٢٦ ـ ٤٨٩ هـ) .

(٥) أبو بكر محمد بن منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني (٤٦٦ ـ ٥١٠ هـ) .

(٦) أبو محمد الحسن بن منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني (٠٠٠ـ٥٣١هـ) .

(٧) أبو منصور محمد بن الحسن بن منصور السمعاني (٠٠٠ ـ٥٣٣ هـ) .

(٨) أبو القاسم أحمد بن منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني (٤٨٧ـ٥٣٤ هـ)

(٩) أبو المظفر عبد الوهاب بن محمد بن منصور السمعاني (٥٠٥ ـ٥١٧ هـ).

(١٠) أمة الله حرة بنت محمد بن منصور السمعاني (٤٩١ ـ ٠٠٠) .

(١١) أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور السمعاني (٥٠٦ ـ ٥٦٢ هـ) .

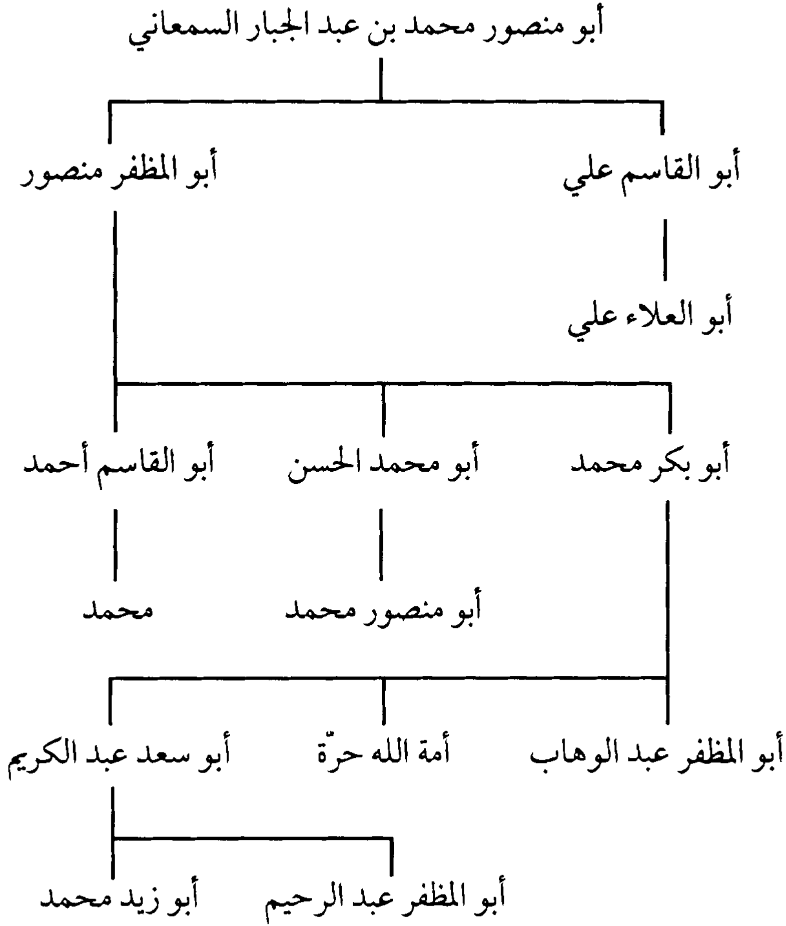
(١٢) محمد بن أحمد بن منصور السمعاني (٠٠٠ ـ٥٨٢ هـ) .

(١٣) أبو المظفر عبد الرحيم بن عبد الكريم بن محمد بن منصور السمعاني (٥٣٧ - ٦١٧ ، ٦١٨هـ).

(١٤) أبو زيد محمد بن عبد الكريم بن محمد بن منصور السمعاني (٥٥٤ـ٠٠٠) .

ملحق (٣)

شجرة السمعانيّين في المشرق



المصادر والمراجع :

أولاً : المصادر :

ابن الأثير : عز الدين أبو الحسن علي بن محمد (ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٣م) :

- الكامل في التاريخ ، دار صادر ، بيروت ، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.
- اللباب في تهذيب الأنساب ، دار صادر ، بيروت . .

الأسنوي : جمال الدين عبد الرحيم بن الحسن) ت ٧٧٢هـ/ ١٣٧٠م) :

- طبقات الشافعية ، دار الكتب العلمية بيروت ، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

الباخرزي : أبو الحسن علي بن الحسن بن أبي الطيّب (٤٦٧هـ/ ١٠٧٥م) :

- دمية القصر وعصرة أهل العصر ، تحقيق: د. سامي مكّي العاني ، الطبعة الثانية ، دار العروبة ، الكويت ، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

البنداري : الفتح بن علي بن محمد (ت ٦٤٣هـ/ ١٢٤٥م) :

- تاريخ دولة آل سلجوق ، الطبعة الثالثة ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

ابن تغري بردي : جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي (ت ٨٧٤ هـ١٤٧٠ / م) :

- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، تحقيق: محمد حسين شمس الدين ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

ابن الجوزي : أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧ هـ/ ١٢٠١م) :

- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، تحقيق: محمد عبد القادر عطا ،

ومصطفى عبد القادر عطا ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

حاجي خليفة : مصطفى بن عبد الله ، الشهير بـ " حاجي خليفة " (ت ١٠٦٧هـ/ ١٦٥٧م) :

- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، دار العلوم الحديثة ، بيروت.

الخطيب البغدادي : أبو بكر أحمد بن علي (ت ٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م):

- الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ، تحقيق: د. محمود الطحّان، مكتبة المعارف ، الرياض ، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

ابن الدمياطي : أحمد بن أيبك بن عبد الله (ت ٧٤٩هـ١٣٤٨ / م) :

- المستفاد من ذيل تاريخ بغداد ، تحقيق: د. قيصر أبو فرح ، دار الكتب العلمية ، بيروت.

الحموي : شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م) :

- معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

ابن خلكان : شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت٦٨١هـ/ ١٢٨٢م) :

- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق: د. إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.

الداوودي: شمس الدين محمد بن علي بن أحمد (ت ٩٤٥هـ/ ١٥٣٨م) :

- طبقات المفسّرين ، دار الكتب العلمية ، بيروت.

الذهبي : شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م):

- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، تحقيق: الدكتور : عمر عبد السلام تدمري ، الطبعة الأولى ، دار الكتاب العربي ، بيروت .
- تذكرة الحفّاظ ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
- سير أعلام النبلاء ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط وآخرين ، مؤسسة الرسالة ، بيروت .
- العبر في خبر من غبر ، تحقيق: محمد السعيد بن بسيوني زغلول ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
- المختصر المحتاج إليه من تاريخ الحافظ أبي عبد الله بن الدبيثي (ذيل تاريخ بغداد ـ جـ١٥) ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

الرافعي : عبد الكريم بن محمد (ت ٦٢٣هـ/ ١٢٢٦م) :

- التدوين في أخبار قزوين ، تحقيق: عزيز الله العطاردي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م.

السبكي : تاج الدين أبو نصر عبد الوهّاب بن علي بن عبد الكافي (ت ٧٧١هـ/ ١٣٧٠م) :

- طبقات الشافعية الكبرى ، تحقيق : عبد الفتاح محمد الحلو ، ومحمود محمد الطناحي ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة .

السخاوي : شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت ٩٠٢هـ/ ١٤٩٧م):

- الإعلان بالتوبيخ لمن ذمّ التاريخ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

السمعاني : أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور (ت ٥٦٢ هـ/ ١١٦٧ م)

- أدب الإملاء والاستملاء ، تحقيق : سعيد محمد اللحّام ، الطبعة الأولى ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.
- الأنساب ، تحقيق : عبد الله عمر البارودي ، الطبعة الأولى ، دار الجنان ، بيروت ، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
- التحبير في المعجم الكبير ، تحقيق: منيرة ناجي سالم ، بغداد ، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م .
- فضائل الشام ، تحقيق : عمرو علي عمر ، الطبعة الأولى ، دار الثقافة العربية ، دمشق ، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

السيوطي : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ/ ١٥٠٥م):

- طبقات الحُفّاظ ، الطبعة الثانية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

الصريفيني : إبراهيم بن محمد بن الأزهر (القرن السابع الهجري):

- المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور ، تحقيق: محمد أحمد عبد العزيز ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

الصفدي : صلاح الدين خليل بن أيبك(ت ٧٦٤هـ/ ١٣٦٣ م) :

- الوافي بالوفيات ، الطبعة الثانية ، دار فرانز شتاينر ، فيسبادان ، ١٣٨٩هـ/ ١٩٧٠م.

ابن الصلاح : تقي الدين أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري (ت ٦٤٣هـ ١٢٤٥ / م) :

- طبقات الفقهاء الشافعية ، تحقيق: محيي الدين علي نجيب ، الطبعة

الأولى ، دار البشائر الإسلامية ، بيروت ، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

طاش كبري زاده : أحمد بن مصطفى ، الشهير بـ (طاش كبري زاده (ت ٩٦٨هـ/ ١٥٦١م) :

- مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

ابن عبد الهادي الدمشقي : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت ٧٤٤هـ/ ١٣٤٣م) :

- طبقات علماء الحديث ، تحقيق: أكرم البوشي ، و إبراهيم الزيبق ، الطبعة الثانية ، مؤسّسة الرسالة ، بيروت ، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

ابن العديم : كمال الدين عمر بن أحمد (ت ٦٦٠هـ/ ١٢٦٢م):

- بغية الطلب في تاريخ حلب ، تحقيق: د. سهيل زكّار ، دار الفكر ، بيروت.

ابن عساكر : أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (ت ٥٧١هـ/ ١١٧٦م)

- تاريخ مدينة دمشق ، تحقيق: محبّ الدين عمر بن غرامة العمروي ، دار الفكر ، بيروت.

ابن العماد الحنبلي : أبو الفلاح عبد الحيّ بن أحمد (ت ١٠٨٩ هـ/ ١٦٧٨ م) :

- شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت.

أبو الفداء : عماد الدين إسماعيل بن علي (ت ٧٣٢هـ/ ١٣٣١م):

- المختصر في أخبار البشر ، دار المعرفة ، بيروت.

أبو فراس الحمداني أبو فراس الحارث بن سعيد بن حمدان (ت٣٥٧هـ/ ٩٦٨م) :

- ديوانه ، تحقيق : د. إبراهيم السامرّائي ، الطبعة الأولى ، دار الفكر، عمّان ، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

ابن قاضي شهبة : أبو بكر بن أحمد بن محمد (ت ٨٥١ هـ/ ١٤٤٨م) :

- طبقات الشافعية ، تحقيق : د. عبد العليم خان ، دار الندوة الجديدة، بيروت ، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

القرشي : محيي الدين أبو محمد عبد القادر بن محمد بن محمد (ت ٧٧٥هـ/ ١٣٧٣م) :

- الجواهر المضيّة في طبقات الحنفية ، تحقيق: د. عبد الفتّاح محمد الحلو ، الطبعة الثانية ، هَجَر للطباعة والنشر ، القاهرة ،١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

ابن قُطلوبُغا : أبو الفدا زين الدين قاسم بن قُطلوبُغا السُّودوني (ت٨٧٩هـ/ ١٤٧٤م) :

- تاج التراجم ، تحقيق : محمد خير رمضان يوسف ، الطبعة الأولى ، دار القلم ، دمشق ، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

القفطي : أبو الحسن علي بن يوسف (ت ٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م) :

- إنباه الرواة على أنباه النحاة ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، الطبعة الأولى ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

ابن كثير : أبو الفدا إسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م) :

- البداية والنهاية ، تحقيق : د. أحمد أبو ملحم وآخرين ، دار الكتب

العلمية ، بيروت ، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

الكرديزي : أبو سعيد عبد الحيّ بن الضحّاك بن محمود (ت٤٤٢ ـ ٤٤٣هـ/ ١٠٥٠ ـ ١٠٥١م) :

- زين الأخبار ، ترجمته من الفارسيّة إلى العربية : د. عفاف السيّد زيدان ، الطبعة الأولى ، دار الطباعة المحمّدية ، القاهرة ،١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

المنذري : أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي (ت ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م) :

- التكملة لوفيات النقلة ، تحقيق: د. بشّار عوّاد معروف ، الطبعة الثالثة ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م.

النسوي : محمد بن أحمد (القرن السابع الهجري) :

- سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي ، تحقيق: حافظ أحمد حمدي ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٥٣م.

النووي : محيي الدين أبو زكريّا يحيى بن شرف (ت ٦٧٦هـ/ ١٢٧٧م) :

- مختصر طبقات الفقهاء ، تحقيق : عادل عبد الموجود ، و علي معوّض ، الطبعة الأولى ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م .

ابن هداية الله الحسيني : أبو بكر (ت ١٠١٤هـ ١٦٠٥ / م) :

- طبقات الشافعية ، تحقيق: عادل نويهض ، الطبعة الثالثة ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

ابن الوردي : أبو حفص عمر بن مظفّر بن عمر (ت ٧٤٩هـ/ ١٣٤٩م) :

- تاريخه ، الطبعة الثانية ، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م.

اليافعي : أبو محمد عبد الله بن أسعد (ت ٧٦٨هـ/ ١٣٦٧م) :

- مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يُعتبر من حوادث الزمان ، الطبعة الثانية ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة ، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

ثانيًا : المراجع :

إقبال : عباس :

- تاريخ إيران بعد الإسلام من بداية الدولة الطاهرية حتّى نهاية الدولة القاجارية ، ترجمه من الفارسية إلى العربية د . محمد علاء الدين منصور ، دار الثقافة ، القاهرة ، ١٤١٠هـ١٩٩٠ / م.

بارتولد : ف .

- تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي ، ترجمه من الروسيّة إلى العربية ، صلاح الدين عثمان هاشم ، الكويت ، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

بروكلمان : كارل :

- تاريخ الأدب العربي ، نقله إلى العربية: د . السيّد يعقوب بكر ، الطبعة الثانية ، دار المعارف ، القاهرة.

حسنين : د. عبد النعيم محمد :

- سلاجقة إيران والعراق ، الطبعة الثانية ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٠م.

حلمي : د. أحمد كمال الدين :

- السلاجقة في التاريخ والحضارة ، الطبعة الثانية ، ذات السلاسل ، الكويت ، ١٤٠٦هـ١٩٨٦ / م.

زامباور : إدوارد فون :

- معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي ، ترجمة

د. زكي محمد حسن ، وآخرين ، القاهرة ، ١٩٥١م.

الزركلي : خير الدين :

- الأعلام ،الطبعة الخامسة ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٠م.

عسيري : د. مريزن سعيد مريزن :

- الحياة العلمية في العراق في العصر السلجوقي ، الطبعة الأولى ، مكتبة الطالب الجامعي ، مكّة المكرّمة ، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

الغامدي : د. سعد بن محمد حذيفة :

- أوضاع الدول الإسلامية في الشرق الإسلامي ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

كراتشكوفسكي : أغناطيوس يوليانوفتش :

- تاريخ الأدب الجغرافي العربي ، ترجمه من الروسية إلى العربية صلاح الدين عثمان هاشم ، الطبعة الثانية ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م.

لسترنج : كي :

- بلدان الخلافة الشرقية ، ترجمة : بشير فرنسيس ، وكوركيس عوّاد ، الطبعة الثانية ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م .